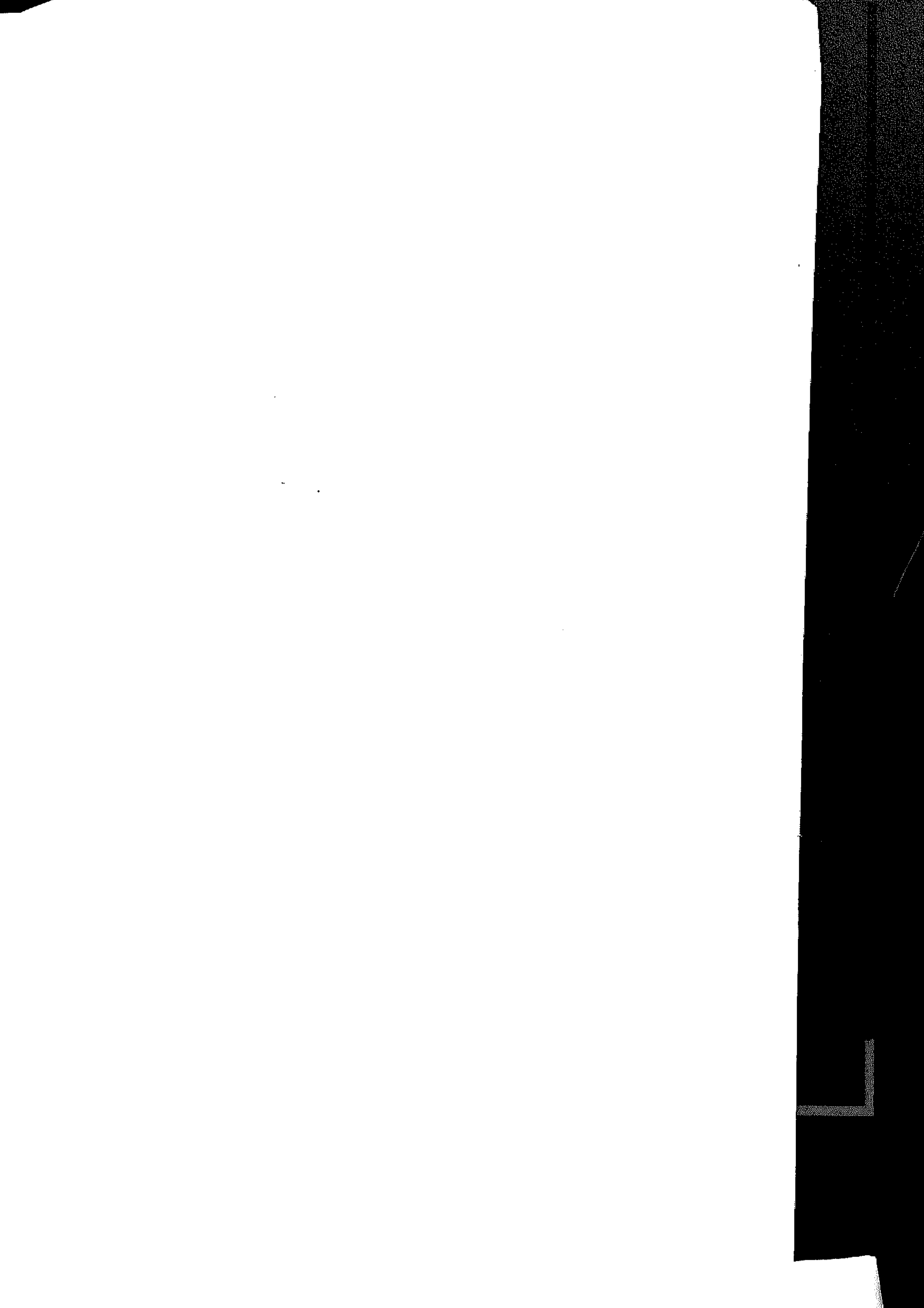
6

أخبار غريبة وأسرار عجيبة

فضائح العائلات المالكة











6

أخبار غريبه وأسرار عجيبه

فضائح العائلات المالكة

هاري وبستر



الغلاف : محمد شمس الدين



ص ب : ٥٧٥٢/ ١١٣ بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

المحتويات

١

المُغازل السّمين

في الأيام الأخيرة من شهر تشرين الأول/أكتوبر، ١٧٨٨،بدأ الملك جورج الثالث يفقِدُ حسّ المنطق، وأخذ يثور لأسباب تافهة، فاعتاد المحيطون به على الأمر وأخفوه عن الشعب البريطاني. إن الأعراض التي ظهرت في تشرين الأول/اكتوبر ذاك كانت أكثر إزعاجاً من تلك السابقة، إذ واكبها آلام في الظهر وانقباضات تبعها هلوسات غريبة. أحد حراس البلاط فاجأه يحادث شجرة سنديان على أنها ملك بروسيا. وبعد ذلك، إصطبغ بول الملك باللون البنّي، وعيناه بلون الدم، واكتسى فمه بالزبد. حاولت الأسرة الملكية الاحتفاظ بهدوئها لكن الهلع كان يسيطر يوماً بعد يوم.

كانت المشكلة كامنة في خليفة هذا الملك، إذ أن ولي عهد العرش ـ الامير جورج ـ كان مدمناً على الشراب والسكر. لهذا السبب كانت أوامر رئيس الوزراء ويليم بيت الأصغر بالتزام الصمت التام حول مرض االملك وحالته العقلية المتدهورة، إضافة إلى كونه أول المعارضين لوصول الأمير جورج إلى العرش ليصبح الملك جورج الرابع. ولفهم دافع ويليم بيت إلى ذلك، ينبغي النظر بإمعان إلى بداية حياة الأمير.

في العام ١٧٦٢، ساد الفرح في المملكة عندما عم خبر ولادة طفل ذكر هو بكر الملك جورج الثالث. وكان هذا الملك مشهوراً بتواضعه مهووساً بمفاهيم الواجبات الملكية والحياة العائلية الصحّية، عازماً على إنجاب خمسة عشر طفلاً. تمنى الجميع أن يرث الأمير جورج طباع أبيه الحميدة، لكن أملهم خاب. فقد أظهر هذا الأمير منذ صغره ميلاً إلى الغطرسة واتجاهاً صوب الافراط في تناول الطعام، متأثراً بأخواله وأنسبائه الذين لا يشاركون أخاهم أو قريبهم الملك أخلاقياته الرفيعة. كان دوقا غلوكستير وكمبرلاند، على وجه التحديد، رديىء السمعة مدمنين على الكحول ومعاشرة النساء، يلطخان سمعة البيت الملكي في حانات لندن وصالات الميسر فيها، وفضّلهما جورج الشاب على أبيه وأعجب بهما أكثر مما أعجب بأبيه المملّ.

يقع بعض اللّوم على ثقافة هذا الشاب. فقد لُقن كل ما يمتّ إلى الليبرالية بصلة، وأتقن الرياضة دون الالتفات أبداً إلى التاريخ أو الاقتصاد، أي إلى المواد التي تخدم الملك الصالح. كما كان همّه محصوراً في الوصول إلى أعلى مراتب الغواية وإدمان الكحول.

عجز المؤرخون عن الاتفاق على تحديد خطواته الأولى في عالم النساء. بعضهم يقول إن الافتتاح حصل بغوايته لإحدى وصيفات والدته الملكة، بينما يؤكد آخرون أن أولى غزواته تمت في مخدع زوجة عمّه دوقة كمبرلاند التي كانت تضفي الحياة على كل

مذكرة من الأرشيف الملكي البريطاني موقعة من ولي العهد، الذي أصبح فيما بعد الملك جورج الرابع، إلى أخيه ويليم الذي أصبح الملك ويليم الرابع: «في الليلة الماضية ضاجعت مومستين أرجو ألا أكون قد التقطت مرضاً».

الحفلات التي تُدعى إليها من طريق رواية الطرائف غير المحتشمة. لا بد أنها كانت من النوع الذي لا يتردد أبداً في تعريف شابٍ إلى خفايا الحياة وحقائقها. إن صحت هذه المعلومات أو لم تصح، فلا شك أن غزوات الأمير جورج الجنسية بدأت قبل أن يبدأ مراهقته. كان في السادسة عشرة عندما رأى والده ضرورة لإرسال رسالة إليه ينتقد فيها إدمانه الكحول والعاهرات. هذه الرسالة هي أولى في سلسلة طويلة من شبيهاتها، وعلى لغتها يقع الجزء الآخر من اللوم؛ فثورة أقل وتفهم أكثر ربما كانا احرزا بعض النتائج الايجابية.

لم يكن هذا الأمير وحده مصدر إزعاج الملك. فقد أصيب بالحرج الشديد عندما أقدم أخوته على الزواج من نساء شبيهات بالسيدة هورتون (دوقة كامبرلاند التي كانت أرملة تحمل هذا الأسم قبل أن يتزوجها الدوق)، فما كان عليه سوى اصدار القرار الملكي الذي ينصّ على عدم شرعية الزواج من مطلّقة أو كاثوليكية، وعلى حاجة كل زواج في الأسرة المالكة إلى نيل رضى الملك قبل حصوله... أدى هذا إلى الفضيحة حول سلوك الأمير.

في الوقت الذي كان فيه الملك يشهد خسارة إبنه لصالح لخمرة والنساء، كان يشهد خسارة مستعمراته في أميركا لصالح الثوار هناك. مواقفه الأخلاقية والمبدئية التي خلقت شعوراً بالاستقرار في أيام السلم أثارت الناس المتظلمين المشتكين أمثال أهالي بوسطن الرازحين تحت نير الضرائب الهائلة. بدأت أولى علاقات الأمير جورج العاطفية العلنية عندما بلغ الثامنة عشرة. فبينما كان في المقصورة الملكية في دار المسرح يشاهد عرض «قصة الشتاء»، بُهر جورج بجمال الممثلة الرئيسية. وعندما اقتربت هذه إلى ناحيته، انحنى صوبها وحدّق فيها بطريقة أظهرت ولعه بها.



جورج إيرويلز

كانت تُدعى ماري روبينسون، في الحادية والعشرين من عمرها، متزوجة من أحد موظفي المحكمة العليا. برغم هذه المعلومة المهمّة، طلب الأمير قلماً وورقاً ونصّ لها رسالة غرام وقّعها بإسم فلوريزيل،اسم عشيقها في المسرحية. وارتعدت فرائص اللورد مالدين مرافق الأمير عندما طلب منه هذا إيصال الرسالة إلى غرفة روبينسون في كواليس المسرح.

قرأت السيدة الرسالة واعتقدت أن مرسلها هو اللورد نفسه فطردته بلباقة. وعندما قام بإيضاح أن كاتب الرسالة هو الأمير جورج، لاحظ اهتمامها المفاجىء بالأمر... لكنها رفضت لقاءه خوفاً من ردة فعل الملك. كانت أخبار غزوات الأمير الغريزية قد شاعت إلى جانب أخبار غضب والده منه. فإن تمكن الأمير من شدّها إلى سريره، أمكن للملك إنهاء سيرتها الفنية التي تبعدها عن السجن والدائنين.

استمر الأمير يحضر عرض المسرحية كل ليلة ويحدّق في ماري حتى تنسى هي كلامها. كانت مصممة على الاخلاص لزوجها حتى يوم عادت من عملها لتجد خادمتها في مخدعها الزوجي... عندئذٍ راسلت جورج تقبل مقابلته شرط حضور شقيق جورج الأصغر، فردريك، اللقاء، لأنها كانت تثق أن فريدريك هذا سيمنع ولي العهد من إفلات الزمام لشهواته. وأصرّت على سرّيّة اللقاء.

تقرر أن يصطحب اللورد مالدين ماري إلى العشاء في مكان عام على ضفاف النهر قرب القصر الملكي، على أن ينتظر الأمير وأخوه على الضفة الثانية.. فيلتقي الجميع، لكن الخطة لم تنجح إذ سمع الملك ضجيجاً في القصر وأرسل فرقة تفتيش ومطاردة.. عاد مالدين وماري أدراجهما بينما أضطر الأميران إلى الإختباء في الأدغال ريثما يخف الهرج والمرج.

اضطربت ماري لما حصل ورفضت تحديد مقابلة أخرى. فالتجأ جورج إلى وسيلة جديدة، فعرض عليها أن يهبها عشرين ألف باوند إن هي وافقت على أن تكون عشيقته، فوافقت فوراً وبررت التبدل في رأيها بأنها «لم تعد قادرة على مقاومة ابتسامته ورقة

شعوره وصوته الذكوري العذب». وقبل أن تؤدي قسطها في الاتفاق، حرصت على أن يوقع جورج صكاً بعشرين ألفاً تقبضه متى أرادت، وحتى ذلك الوقت، عليه أن يعيلها مادياً. فأجّر لها بيتاً وصار الطريق إلى فراشها معبداً.

كان الجميع عالماً بهذه العلاقة منذ البداية، ولاحظ الناس أن السيدة روبنسون أمست تتنقل في شوارع لندن في عربة فخمة يتعلّق بظهرها خادمان أنيقان. إلى ذلك، كانت تحتفظ بصورة للأمير تعلقها في قلادة حول عنقها.

أما جورج، فبدأ يندم على هذا الاتفاق الذي عقده. بعد أسابيع، تسلل الملل إلى قلبه ووجه اهتمامه السامي إلى السيدة غرايس والريمبل، طليقة أحد الأطباء.. وينهي علاقته بالسيدة روبنسون، خط لها رسالة مقتضبة يقول فيها إنهما لن يلتقيا بعد الآن، وخصوصاً بعد أن قامت بإهانة أحد أصدقائه علانية. كانت تلك الحجة من بنات أفكاره. لم تيأس ماري روبنسون بل أقنعت جورج بمقابلتها ووجدته لبقاً للغاية حتى ظنت أنهما عادا إلى ما كانا عليه من الحب. وفي اليوم التالي، إلتقت به في هايدبارك، فلم يتكلف أن ينظر إلى وجهها.

تحولت علاقتهما إلى حلقات من الإتهامات والإتهامات المضادة. وأخيراً، لمّحت ماري إلى اللورد مالدين أنها ستستخدم صك العشرين ألف باوند ورسائل الأمير الغرامية التي تساوي الكثير.. صدم الأمير هذا التلميح بنشر فضائحه علنياً، خصوصاً أنه لا يملك هذا الكم الهائل من المال. عرض خمسة آلاف فلم ترضَ. وأخيراً، تمّ الإتفاق بعد أخذ ورد: قبلت بخمسة آلاف باوند يرافقها خمسمئة باوند سنوياً مدى الحياة، يُحوّل نصفها إلى ابنتها

بعد موتها هي، ومدى الحياة أيضاً. وتعيد هي الرسائل الفاضحة مقابل إقرار من الأمير أنه استعاد رسائله دون مقابل.

لجأ الأمير إلى أبيه الملك ليحصل على خمسة آلاف باوند، لكن الملك نفسه لم يكن يحوز هذا المبلغ الهائل، فالتجأ بدوره إلى رئيس الوزراء الذي قدّم المال من الخزينة بعد أن أدرجه في مصروفات الخدمات السرّية. وبخصوص النفقة السنوية. قال الملك إن الأمير سيقطعها من مصروفه الشخصي.

قبضت ماري المال ورحلت إلى باريس لتعود بعد سنوات وتصبح عشيقة عضو في البرلمان ولتجدد صداقتها بالأمير نفسه. توفيت بعد عشرين عاماً على الحادثة، واستمرت ابنتها في الحصول على ٢٥٠ باوند سنوياً.

هذه المرّة، اقتنع الملك نهائياً أن الأمير غير مسؤول أبداً. فبينما تمتع أخوته بمناصب في الجيش جُرّد هو من مهامه الملكية ووضع تحت رقابة وحصار موظفين في البلاط عيّنهم الملك من أجل لجمه عن ارتكاب المعاصي. لكن ذلك لم يمنع الأمير من التوغل أكثر في إدمان الكحول وفي قضاء الليالي سكيراً وفي معاشرة العاهرات في لندن. شاعت أخباره ووقع تحت ديون كبيرة لا طريق إلى سدادها.

ما أقلق الملك أكثر هو مصادقة ابنه الأمير لعضوين في المعارضة الليبرالية شارلز جايمس فوكس وريشارد برينسلي شاريدان اللذين كانا يجالسانه على طاولات الميسر ويقدمان له يد العون فتكثر ديونه على أمل أن يردّها لهما حين يخلف أباه الملك.

وعندما بلغ جورج الحادية والعشرين من العمر، في العام ١٧٨٣، كان غارقاً في الديون، فسأل أباه أن يدعمه في مشروع مستقل. حاول فوكس الذي كان وزير الخارجية حينها، ممارسة



ماريا فيتزهاربرت

الضغوط على البرلمان، لكنه اصطدم بمعارضة الملك. أخيراً اقتنع البرلمان بضرورة سداد ديون الأمير البالغة ٣٠ ألف باوند واعطائه ٣٠ ألفاً آخرى للإنتقال إلى قصر كارلتور. ردّ الأمير الجميل لفوكس بأنه صوّت إلى جانبه في مسألة الهند التي لم تنجح.

استمر جورج في انغماسه في الملذات، فكانت العشيقة هذه المرّة أرملة في الثامنة والعشرين تدعى ماريا فيتزهربرت، تزوجت مرّتين. وقع في غرامها حين رآها في دار الأوبرا لكنها كانت صيداً

صعباً للغاية لأسباب عديدة أولها اعتمادها على مصادر عيش تكسب منها جيداً، وثانيها ادراكها أن ايمانها الكاثوليكي يقف حائلاً بينها وبين الأمير بحسب قانون الزواج الملكي الذي يمنع ذكور العائلة المالكة من الزواج بكاثوليكيات، لم تكن تنوي الزواج منه أبداً لكنها وجدت هذا القانون ظالماً ومميّزاً.

لاحقها جورج باللهفة المعتادة، فوجدته لطيفاً لكنها رفضت أن تصبح عشيقة له. فانهار الأمير باكياً وصار يحدث الجميع عن السيدة فيتزهربرت. لم يؤثر ذلك في قرارها خصوصاً بعدما وصلت إليها أخبار ماري روبينسون وتالياتها، وقررت أن الطريقة الأسهل هي الرحيل عن انكلترا.

ماإن علم جورج بالخبر حتى دخل في مرحلة من الحزن العميق، ثم جنّ غضباً لأنه لم يطلها. وصل أربعة موظفين من البلاط إلى منزل السيدة فيتزهربرت، وأقنعوها بمقابلته. رضخت مشترطة أنها ستواكبها نساء سمعتهن نظيفة بعيدة من الشكوك، وخصوصاً بعدما أخبروها أنه حاول قتل نفسه بالسيف. البعض يؤكد أن طبيبه جعله ينزف لتخفيف الهستيريا. وصلت تواكبها دوقة ديفونشاير ليجداه على فراشه دامي الصدر. خافت السيدة من أن يكون جاداً في محاولة الانتحار بعد أن أكد أنه سيحاول ثانية إلا إذا رضيت الزواج منه.. تظاهرت بالقبول واقترضت خاتماً من الدوقة ووضعته في بنصرها.. وفي اليوم الثاني، غادرت انكلترا دون أن تترك عنواناً.

أصيب جورج بالهستيريا ثانية ثم قرّر أن يلحق بها إلى أوروبا.. سرّ الملك أنه سيتخلص منه ومن فضائحه لكنه عاد ورفض السماح له بالسفر خوف أن يقع هناك تحت الديون التي اعتادها. وازداد

ارتياح الملك عندما وصلته أخبار زواج السيدة فيتزهربرت. أما جورج، فكان الغضب متملكاً منه للغاية.

عرف أخيراً عنوان السيدة فيتزهربرت وبدأ يرسل إليها الرسائل الغرامية. إزاء رفضها، كان يبكي ويضرب رأسه بالحائط ويشد شعره ويقسم أنه لن يتزوج في حياته بل سيهاجر إلى أميركا برفقة السيدة فيتزهربرت.

وبعد ستة عشر شهراً من البعاد، أرسل إليها رسالة تضمنت عرضاً بالزواج. كانت تعلم أن زواجهما ممنوع لكن إصراره عليها أوقعها في حبّه فعادت إلى لندن في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٧٨٥. وبعد أسابيع تزوجا سراً على يد كاهن خرج لتوّه من السجن بعد أن دخله بسبب الديون التي تقصم ظهره، وسافرا إلى ريشموند لقضاء، شهر العسل.

شاع خبر هذا الزواج في لندن، لكنهما أصرّا أن ما يجمعهما صداقة مفعمة بالاحترام. لاحظ أصدقاء جورج هدوء أعصابه وراحته. لسوء الحظ، لم تغيّر هذه السعادة من انحراف جورج؛ وبانتهاء ١٧٨٥، وصلت ديونه إلى ربع مليون جنيه، فغادر قصر كارلتون إلى برايتون مبتعداً عن أبيه قدر الامكان ليعيش مع زوجته الجديدة، واشترى مزرعة هناك ليعيش فيها مع السيدة فيتزهربرت.

كانت الشهور التالية أسعد أوقات حياته. وبرغم أنه خفف من مصروفه المالي، لم يحاول الملك إقناع البرلمان لسداد ديونه. اقنع الأمير أحد أعضاء البرلمان أن يرفع القضية في مجلس العموم، فأتى الرد أن هذه القضية متشعبة تمسّ الدستور والكنيسة، في تلميح واضح إلى زواجه من السيدة فيتزهربرت. أدرك الأمير أنه يواجه خطر اعلان زواجه، فالتجأ إلى فوكس. وعندما تمّ التداول ثانية

بأمر زواج الأمير، وقف فوكس منتداً بهذا الكلام نافياً حصوله، برغم معرفته بصحّة هذه المقولة.. لكن ما الضرر من زيادة ديون هذا الأمير؟!

في هذه الأثناء، بدأت بوادر جنون الملك، وأقرّ البرلمان أن الأمير جورج قد يصل إلى العرش أوقد يصبح وصيّاً موقتاً عليه. صدمت هذه الفكرة الجميع.. فإن وصل هذا السكير العاهر إلى العرش سيُفلس البلاد أو يتسبّب بثورة.

كان لدى رئيس الوزراء السيّد بيت سببٌ آخر للقلق. وصول الأمير جورج إلى العرش يعني انتهاء عهد المحافظين، وابتداء عهد فوكس وشيريدان وعصابتهما في حكم البلاد... وذلك أيضاً كان اعتقاد فوكس. ولهذا، حضر سريعاً من إيطاليا وأعلن أن جنون الملك مساوٍ لموت الملك... لا بد أن الملك سيتعافى، لكن في هذه الأثناء، يجب تنصيب الأمير جورج وصياً على العرش.

حاول بيتّ جاهداً تأجيل اليوم المرّ لكنه قرّر أن يعود إلى المحاماة التي كان يمارسها قبل دخول معترك السياسة حين تسوء الأمور.

أسرع الأمير لعيادة أبيه وصُدم لحالته. فعندما رآه، هجم الملك عليه وأمسكه من شعره وقذفه باتجاه الجدار. لم يغضب الأمير أبداً. ما لم يكن معروفاً حينها إصابة الملك بمرض السحاقية الذي يصيب الهيموغلوبين المسؤول عن حمل الأوكسجين في الدم، فيؤدي إلى اصطباغ البول باللون البني، إلى جانب أعراض عقلية وتحسسيّة أخرى.

تعب الموظفون المعيّنون للعناية بالملك جورج خصوصاً أنه كان يبقى صاحياً ليلاً فيضطرون للسهر معه في غرفته. نجح الأطباء في تشخيص المرض فأكدوا أنه يشبه السم المتمكن من أجهزة جسم

الملك وحاولوا طرد السم من طريق جروح أحدثوها في قدمي الملك.. فلم ينجحوا إلا في زيادة كره الملك لهم.

خلال فترة مرض الملك، ازدادت أحاديثه حول الجنس، خصوصاً فيما يتناول نشوته مع الملكة. وعندما سأل أحد الأطباء الملكة أن تزور زوجها في إحدى فترات هدوئه، حاول أن يغتصبها. في غضون ذلك، سيطر الأمير جورج على العرش، دون أن يخفف من إدمانه للكحول والتبذير. وبما أن الملك لا يتحسن أبداً، طلب من البرلمان إعلانه ملكاً أصيلاً... رفض بيتّ ذلك، فاتّهمه جورج بالعصيان والانقلاب خصوصاً بعد أن أمسى الأمير يحضر اجتماعات الليبراليين السريّة.

أدرك بيتّ عدم جدوى الوقوف بوجه الأمير لكنه عمل جاهداً على تقييد يديه وإبقائه بعيداً عن خزينة الدولة. انقسمت البلاد بين مؤيدٍ للأمير ومعارضٍ يرى فيه كارثة عظمى على هذه البلاد.

في أثناء فترة الميلاد عام ١٧٨٨، كان المحافظون في أوج تشاؤمهم على عكس الليبراليين. لم يصمد تكتيك بيتّ التأجيلي طويلاً. وفي شباط/ فبراير ١٧٨٩، اقترع المجلس ليقرر إن كان سيصبح الأمير جورج وصياً على عرش أبيه أم لا، وكان القرار أن لا يحوز الأمير حقاً تلقائياً في السلطة بسبب مرض أبيه وأن تبقى الملكة هي المتصرفة في البلاط.

بعد أسابيع، بدأ الملك يتماثل إلى الشفاء لكن رفض الأمير

الوصية على عرش فرنسا في القرن السادس عشر، كاثرين دو ميديسي كانت تراقب من خلال كوة صغيرة في حائط الغرفة، زوجها وهو يضاجع خليلته.

تصديق كلام الأطباء عن هذا الشفاء متهماً الجميع بالتآمر لإبعاده عن العرش. وقام وأخيه فريدريك بزيارة الملك، فوجداه متعباً لكن صحيح العقل، ثم توجها إلى نادي بروك وأعلنا أن الملك ما يزال مريضاً بل ساءت حالته أكثر. غضبت الملكة من هذا السلوك المشين، فرفضت السماح لهما بزيارة والدهما ثانية. وعندما قامت الاحتفالات في البلاط ابتهاجاً بشفاء الملك، عوملا بإزدراء رهيب.

ازداد الأمير انغماساً في الملذات، واستمرت السخرية الشعبية منه، حتى صورته الصحف والكراريس ثملاً يمسك رأسه بيديه وبطنه المنفوخ ناتىء من فوق زنّاره محاطاً بالزجاجات الفارغة والفواتير غير المدفوعة وعلاجات الأمراض الزهرية. لم يصل أحد ورثة العرش البريطاني إلى هذا الدرك قبل الآن.

ارتفعت ديونه إلى ما يقارب نصف المليون جنيه وصرف أمواله على المقامرة في سباق الخيل. كما ابتدأ يملّ حضور السيدة فيتزهربرت وقررت هذه التخلي عنه. وبعد طلاقهما، تزوج من أميرة تدعى كارولاين من برونسويك.. أثناء حفل الزواج، كان هو ثملاً. وبرغم كل ذلك، رفض البرلمان تسوية أوضاعه المالية المتدهورة بسبب انهماك بريطانيا في الحرب مع فرنسا. وبعد أن حملت منه، وجد نفسه عاجزاً عن تحملها فهجرها. صرّحت كارولاين علانية عن المعاملة السيئة التي عوملت بها، فازدادت صورة الأمير سوءاً في لندن لدرجة عجز معها على الظهور في الاماكن العامة.

في العام ١٨١٠، عاد الملك إلى مرضه واضطرابه العقلي، فنصّب جورج أخيراً وصياً على العرش. فبادر فوراً إلى إغضاب الليبراليين برفضه الإيفاء بتعهداته التي قطعها لهم.

وفي العام ١٨٢٠، أصبح جورج ملكاً رسمياً على البلاد. وما زاد من حرجه عودة كارولاين إلى الظهور والمطالبة بحقوقها كملكة. دعمها الشعب الذي غضب كثيراً عندما حُبست في دير ويستمينيستير خلال حفل تتويج الملك.

تابع الملك جورج ما بدأه وهو بعد أمير واتخذ له عشيقة جديدة هي اللايدي كويننغهام. وفي سنواته الأخيرة، قضى معظم وقته في الفراش مريضاً بداء النقرس وأمراض المثانة. ازداد وزنه كثيراً حتى صعب عليه المشي. آخر خسارة سياسية مني بها كانت عام ١٨٢٩ حين استطاع الكاثوليك الوصول إلى مقاعد البرلمان برغم تصدّيه لهذا الأمر.

أخيراً، أدت سمنته المفرطة إلى صعوبة تنفسه فاسودّ وجهه وأطراف أصابعه... وفي ٢٦ حزيران/ يونيو ١٨٣٠، توفي عن ٦٧ عاماً.

٢

كارولين الملكة الوحيدة التي حوكمت بتهمة الزنا

لغز محيّر إقدام أمير ويلز، ابن الملك جورج الثالث، على الزواج من كارولين، في برونسويك، السمينة والقبيحة. كان بالفعل يريد إقناع البرلمان البريطاني سداد ديونه الهائلة، لكن كان الأفضل لو تزوج من قريبة الملكة، الجميلة والذكية، لويز من ميكلينبرغ - سيترليتز. كان هذا الزواج كارثة وقعت على الجميع.

عرفنا في الفصل السابق مدى انغماس هذا الأمير في شهوات الكحول والجنس والميسر، وقصصه مع ماري روبينسون والليبراليين فوكس وشيريدان، وقصة حبّه العاصف للسيدة فيتزهربرت الكاثوليكية، وهجرها إلى فراش اللايدي جيرسي. كما علمنا ارتفاع قيمة ديونه التي وصلت إلى أكثر من نصف مليون جنيه. لهذا، عندما طلب منه أبوه الزواج والاستقرار، وافق بشرط قيام البرلمان بتسوية أوضاعه المالية.

كانت كارولين هذه قصيرة القامة سمينة وقبيحة المنظر، تعاني من انبعاث رائحة كريهة من جسدها ربما بسبب عدم الاغتسال

اليومي. قد تكون اللايدي جيرسي هي من دفعه إلى الزواج بكارولين هذه لأنها تعتبر لويز عدوة صعبة المراس. وفي ٥ نيسان ١٧٩٥، قدّمت إليه كارولين فعبس وانتقل إلى الجهة الأخرى من الغرفة طالباً كأس كحول، واستمر في الشراب ثلاثة أيام حتى هلّ موعد القران. وفي شهر العسل، أدّى الأمير واجباته الزوجية، فوجدت كارولين نفسها حاملاً. لكنه ما قدر على تحمّلها فابتعد عنها قدر ما يستطيع إلى السنة التالية حين خطّ لها رسالة فيها «إن رغباتنا لا تخضع لواجباتنا». عندما تلقّت الملكة كارولين الرسالة، كانت برفقة السياسي جورج كايننغ، فسألته عما تعني هذه الرسالة، أجابها أن زوجها يجيز لها فعل ما تريد، فنفذت فوراً هذه الإجازة مع كايننغ.

ما لم يدركه أحد في تلك الأيام هو إصابة العائلة المالكة بمرض porphyria الوراثي الناجم عن خلل في الموروثات يؤدي إلى تكدّس كميات كبيرة من البورفيرين أي المادة التي تعطي الدم لونه. يؤثر هذا المرض على الأجهزة وعلى الجلد. أصيب الملك جورج الثالث بهذا المرض وتوفي إثر ذلك مجنوناً. كان أمير ويلز مصاباً بهذا المرض، وكذلك كارولين. وهذا ما قد يفسّر ميلها إلى السلوك المشين الذي لمحّ إلى جنونها.

بعد أن رفضها زوجها، استقلّت في منزل في بلاكهيث وتصرفت بشكل أدى باللايدي هيستير إلى وصفها «بالعاهرة الصريحة». فقد احتفظت بساعة حائط صينية عليها تماثيل متحركة تمارس أفعالاً فاضحة عندما تُشَغَّل. وفي العام ١٨٠٦، سرت شائعات أن لها ولداً غير شرعي يدعى ويليم أوستن، فأدت إلى ما عرف ب «التحقيق الدقيق»، قامت به لجنة ملكية وادعت على

اللايدي دوغلاس بتهمة التشهير كونها من خلق هذه الشائعة. لكن بعد سنوات، اعترفت كارولين لشقيق محاميها أنه ابن أمير بروسيا لويس فرديناند الذي كان عشيقها وتزوجته قبل أن تتزوج أمير ويلز.

أخيراً، عقدت كارولين العزم على مغادرة انكلترا في آب/أغسطس ١٨١٤. في جنيف، أثناء حفل راقص أقيم على شرفها، صدمت الحاضرين برقصها عارية حتى وسطها. وفي نابولي، اصبحت عشيقة الملك يواكيم، صهر نابوليون. وعندما غادرت نابولي، في وقت هرب نابليون من جزيرة إلبا ـ صادقت أحد المقرّبين من نابليون، الأيطالي بارتولوميو بيرجامي، فرافقها إلى ميونخ وتونس وأثينا والقسطنطينية والقدس، وساكنها كزوجها في دارتها قرب بيسارو.

كتب جايمس بروغهام، شقيق محاميها رسالة، إلى الوصي على العرش الأمير جورج يقترح فيها أن يحصل على اعتراف رسمي من كارولين كي لا تصبح يوماً ما ملكة بريطانيا. لكن الأمير أراد الطلاق أو لا شيء غيره.

توفي جورج الثالث أخيراً في كانون الثاني/يناير ١٨٢٠ وخلفه ابنه جورج الرابع. فأصبحت كارولين الآن الملكة كارولين. عرضت عليها الحكومة مبلغ ٥٠ ألف جنيه سنوياً إن رفضت عدم العودة إلى انكلترا، فغضبت ووصلت فوراً إلى لندن. كان زوجها الرجل الأقل شعبية في البلاد فدعمها أناس عديدون. في ١٧ آب/أغسطس، مثلت كارولين أمام مجلس اللوردات بهدف إلغاء زواجها على قيامها بمعاشرة بيرجامي اللاشرعية، خصوصاً أنه غريب أجنبي ذو منزلة منحطّة. لكن الرأي العام تظاهر لصالح

كارولين ولم يتمكّن المجلس من فسخ الزواج وأغلق القضية نهائياً.

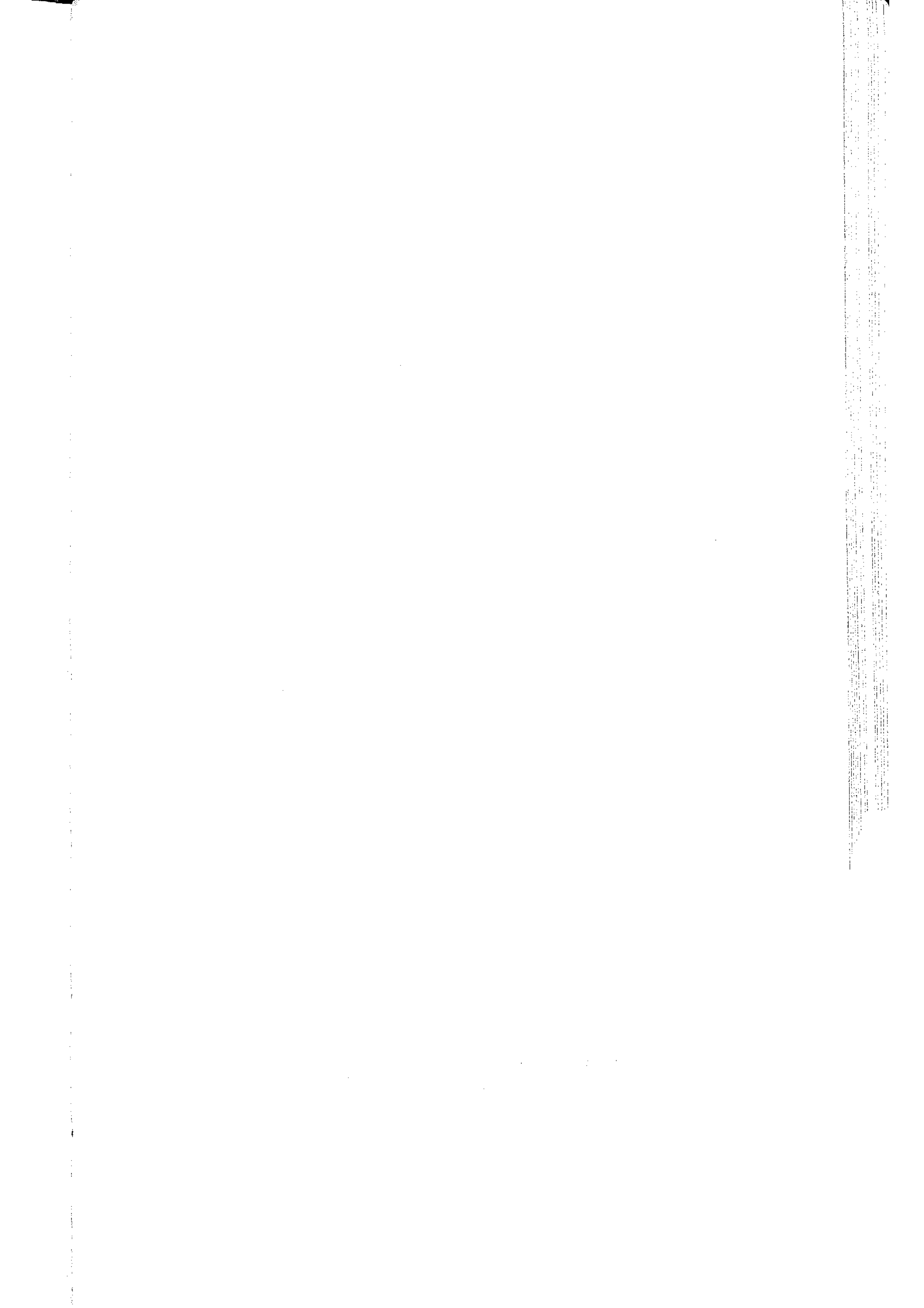
عين موعد تتويج الملك في ٢٩ نيسان/ابريل ١٨٢١، فكتبت الملكة إلى رئيس الوزراء، اللورد ليفربول، تسأله عن الفستان الذي يجب أن ترتدي في حفل التتويج، فردّ إنها لن تكون جزءاً من الحفل. لكن حين كان جورج يتوّج، وصلت كارولين إلى الدير مرتدية الموسلين الشفاف وصرخت بالحرس ليفتح الباب، فما كان من الضباط هناك إلا أن أقفلوا الأبواب بوجهها. عادت إلى قصرها وطالبت الملك بتتويجها في «الاثنين المقبل».

توفيت في السابع من آب/أغسطس ١٨٢١ بصورة مفاجئة حتى قيل إنها ماتت مسمومة. وأثناء نقل جثمانها إلى الباخرة التي ستنقله إلى برونسويك، قامت المظاهرات في كنيسة كينسينغتون ورميت الحجارة وقتل اثنان من المتظاهرين برصاص الجنود. دُفنت كارولين في كاتدرائية برونسويك وكُتب على نعشها: «ملكة انكلترا المجروحة».

بقي جورج الرابع مكروهاً، وعاش قرابة تسع سنوات بعد موت كارولين. المسألة الأهم في ذلك الوقت كانت تحرير وإعتاق الكاثوليك الذين كانوا ممنوعين من دخول الحياة السياسية الاجتماعية. وبينما كان جورج أميراً على ويلز، كان داعماً لويلينغتون، رئيس الوزراء الذي قاد عملية رفع الظلم عن الكاثوليك. لكن عندما توّج ملكاً، عاد جورج الرابع عن آرائه وهدد بإستعمال حق النقض الملكي، لكنه رضخ أخيراً للضغوط السياسية. وبعد ذلك، تدهورت صحته سريعاً وتوفي في ٢٦ حزيران/ يونيو ١٨٣٠. كان يحتفظ بصورة للسيدة فيتزهربرت

تحت وسادته برغم افتراقهما لسنوات عديدة، بعد أن وجدت أنها محرومة من الجلوس على المائدة الملكية في حفل أقيم على شرف لويس الثامن عشر عام ١٨٠٣، وأجبرت على الجلوس بحسب مكانتها في المجتمع. بعد تلك الاهانة، انسحبت من البلاط إلى الأبد.





٣

الملك الطيب

تنفّس البلاط الدانمركي الصعداء عندما ولد فيه ذكر للملك فريدريك «الطيّب» الخامس يوم ٢٩ كانون الثاني/ يناير ١٧٤٩. كان الملك ما يزال في الخامسة والعشرين لكن كان سقيماً نتيجة إدمانه آفة الكحول. أطلق على الصبي إسم كريستيان، وتوفيت أمه الملكة لويز، إبنة الملك جورج الثاني، عندما وصل الثالثة، فتزوج أبوه ثانية من أميرة برونسويك ولفين ـ بوتّيل. لم تحافظ الملكة الجديدة على سرّية كرهها لكريستيان الذي كان يحول دون وصول أولادها إلى العرش. وتصاعدت كراهيتها عندما وُلد بكر أولادها ضعيفاً. لهذا، كان على كريستيان أن يتحمّل أماً تكرهه وأباً يحنّ عليه حين يكون صاحياً من ثمله.

أمّا الأستاذ الذي عيّن لتربيته وتعليمه ـ الكونت ريفينتلو ـ فكان من أتباع المدرسة القديمة القائلة إن العصا تقوّم الأولاد، ولهذا كان يضربه حتى يغطي الزبد فمه الصغير. بفضل انعدام الأمان العاطفي وخوف الضرب، تحوّل كريستيان إلى طفل مستوحد ومنطوٍ على ذاته. كان صديقه الوحيد خادمه الشخصي صبياً يدعى سبيرلينغ

الذي علّمه كيفيّة الكذب المقنع واختراع المزاح لإغاظة البالغين.

نتيجة دروس سبيرلينغ في الرياء والخداع، أمسى كريستيان مشابهاً لهذا الخادم في الشكل والمنطق، وشاركه مقته للطبقات الأرستقراطية؛ فقد بدا له أن العامة يلهون أكثر من الملوك. لهذا، أخذ يحلم بالتحوّل إلى انسان عادي كما يحلم أبناء الطبقة العاملة في الوصول إلى الطبقات النبيلة.

وكان في نفس كريستيان دافع آخر. حاول أحد أساتذته المحبّبين، ويدعى ريفيرديل، أن يلفت إنتباهه، لكن الشاب تجاهله. وبعد سنوات، صرّح كريستيان أنه عندما كان في سن الخامسة رأي مجموعة من الممثلين الايطاليين يؤدّون أدوارهم في البلاط فاندهش لما فعلوا، وانبهر بهم حتى اعتبرهم آلهة قوية لا تقارع. ومنذ ذلك الحين، إبتدأ يحلم بأن يصبح ممثلاً لهم واستمر في مراقبة جسده عازماً على بنائه جيداً.

ويتحدث ريفيرديل عن هوس كريستيان العصابي وخوفه الدائم من أن يسجن. وفي أحد الأيام، ومن أجل الترفيه عن الولد، إقترح أحد مساعدي الملك إقامة حفل استعراضي في البلاط. رفض ريفينتلو في بادىء الأمر حصول هذا الأمر، لكنّه عاد وقبل بشرط عدم إخباره مسبقاً كي لا يتلهّى عن الدراسة. وحلّ اليوم الموعود، ونُقل بعد إنتهاء حصته الدراسية، وبعد أن تلقّى الضرب من معلمه ريفينتلو. وبما أن أحداً لم يخبره إلى أين يُنقل، فاقتنع أنهم ينقلونه إلى السجن على وقع الطبل، فارتعب كثيراً. وبعد سنوات، عندما تُوّج ملكاً، اعترف كريستيان أنه لم يخف يوما في حياته كما خاف ذلك اليوم.

برغم قسوته، ظهر أن وسائل ريفينتلو التعليمية فاعلة تماماً،

فنجح كريستيان نجاحاً باهراً في امتحاناته الشفهية العلنية، فقام بالاجابة صحيحاً عن كل الأسئلة على مدى ثلاث ساعات، فسرّ أهل البلاط عندما أدركوا أن خليفة ملكهم الحالي السكير سيكون رجلاً حكيماً متعلماً.

ساءت حال الملك فريدريك الطيب بسبب الكحول. وفي العام ١٧٥٧، أجمع الأطباء أنه سيموت في غضون سنة إن لم يمتنع عن الشراب. حزن الملك عندما أطلعوه على هذا الأمر المحتم، ودفن أحزانه في مزيد من الكحول.

حزن كريستيان كثيراً لمرض أبيه الملك وقلق كثيراً لحاله التي يقرّبه سوءها من اللحظة التي كان يخشاها دائماً. وفي صباح ١٤ كانون الثاني/يناير ١٧٦٦، أعلن الكونت هولكه موت الملك فريدريك ومبايعة الملك كريستيان السابع، فصدم كريستيان وشحب لونه وكأنما كان الاعلان عن موته هو. لطالما سرّ لكونه ولي العهد، يسافر حول أوروبا يغوي الوصيفات ويلعب بالورق.. أماالآن، فقد تبخّر كل ذلك.

أول قرار ملكي اتخذه الملك كريستيان السابع بعد تتويجه كان شنق الكونت ريفينتلو، لكنه عدل عن قراره وسمح له بالبقاء في البلاط كمستشار فيه، وقدّم له كل احترامه ووقف على رأيه في مسائل عديدة تهم أمن الدولة.

والملك بالطبع يحتاج إلى ملكة. كان والده قبل موته رتّب له أن يخطب الأميرة كارولينا ـ ماثيلدا. إبنة أمير ويلز وأخت الملك جورج الثالث. لكن بعد تنصيبه ملكاً، ما عاد متعجلاً للزواج، بل أراد التعويض عما خسره من سنوات، فبادر فوراً إلى غزو سيدات البلاط ووصيفاتهنّ، ووفق تماماً لما كان يتمتع به من جاذبية



جون فريديريك سرونسي

ووسامة، ولغزو عدد من الإناث قبلن أن يكنّ عشيقات الملك.. تنبّه وزراء كريستيان لهذا الموضوع فما أضاعوا وقتاً في إرسال الرسل لاستعجال حضور كارولينا ـ ماثيلدا.

كانت كارولينا ـ ماثيلدا تتمتع بجمال أخّاذ فبهر بها الملك وأسرع إلى الزواج بها.. احتفلت المملكة بزواج ملكها وسرّ هذا كثيراً بعروسه الحسناء. لكن، بمرور الأيام، ملّ منها كما كانت العادة في القرن الثامن عشر. فبادر، بمساعدة سبيرلينغ المخلص، إلى مضاجعة كل امرأة جميلة وجذابة في الدانمارك دون أن يأبه إن

كانت متزوجة أو لم تكن. وأدرك الجميع أنه مدمن على الكحول كما أبيه. وكان كريستيان ينقل بلاطه من قصر إلى آخر متى أحس بالملل يتسلل إلى نفسه، وهاله أن يدرك أنه صعب على الملك أن يلهو طوال الوقت.

تمتع أهل البلاط بهذا العهد الجديد بينما كانت أقلية تأمل أن يخرج الملك من دائرة ملذاته فيتولى إدارة شؤون الدولة والناس. لكن عندما تبيّن للوزراء أن لهو الملك سيستمر حتى فراغ خزينة الدولة من الأموال، ساورهم القلق خصوصاً بعد أن وصلتهم أخبار مقززة عن دفع الملك المكافآت لخدامه الذين يجلدونه بقوّة.

والأسوأ من ذلك ابتدأ كريستيان علاقة حميمة مع «مايلايدي»، أشهر مومس في كوبنهاغن. فكانا يتسكّعان في ساعات الصباح الأولى ثملين في شوارع المدينة يحطمان زجاج قناديل الشوارع. واعتاد الملك في تلك الساعات أن يتنكر بزي عامّة الناس معتقداً أن أحداً لن يتعرّف عليه فيها.

اعتقد أهل كوبنهاغن أن هذا السلوك يزيد من إنسانية الحاكم، لكنهم فقدوا صبرهم أخيراً إذ كان عليهم دائماً أن يصلحوا زجاج محلاتهم وأبواب حدائقهم. وفي مرات عديدة، رد الناس على سبابه الثمل بضربه عنيفاً. عجز الوزراء عن العمل ضد الملك لكنهم قدروا على ترحيل مايلايدي إلى هامبورغ وعلى إبقائها هناك منفيّة، بعد أن وضعوا الملك تحت الأمر الواقع، ثم أقنعوه بالذهاب في عطلة نقاهة طويلة خارج البلاد.

في ٦ أيار/مايو ١٧٦٨، بدأ كريستيان وحاشيته رحلة تشمل هولندا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا. وفي حاشيته كان طبيبه الخاص جون فريدريك سترونسي الذي كانت مهمته السرية حماية الملك

من نفسه. أما الملكة، فبقيت في القصر بعد أن أصرّ الملك على عدم مرافقتها إذ كان يتطلع إلى دراسة فنون المضاجعة التي تتقنها نساء أوروبا.

سافر كريستيان تحت إسم الكونت ترافيندال، وبدأ رحلته بزيارة صهره شارلز زوج أخته المفضلة لويز، ثم سافر على ضفاف نهر الراين إلى كولونيا ثم إلى اميستردام وبعدها بروكسل وكاليه. وجد متعة كبيرة في السفر فنسي العاهرات والكحول، ولاحظ مرافقوه تحسن سلوكه. لكن عندما وصلته أنباء أسقف كانتير بيري الذي ينتظره من أجل إقامة قداس احتفالي على شرفه، بدأت ملامح الملل تكتسي وجهه. حاول سترouنسي جهده لإبقاء الملك بعيداً من المشاكل والمتاعب لكنه لم يتمكّن من منافسة الكونت هولكه الذي كان قد خلف سبيرلينغ كرفيق للملك في الرذيلة.

على رغم رفض الملك جورج الثالث واستهجانه، كان عامّة لندن يحبون كريستيان لأنه وسيم أولاً، ومستعد لمشاركتهم في لهوهم ثانياً. فمرة، ما لبث كريستيان أن ترجّل من عربته خارج قصر سانت جايمس حتى هاجمته سيدة سمينة تصرخ «ولو قتلتموني، لن أتراجع قبل أن أقبّل أجمل رجل في هذا العالم». سمح لها كريستيان بمعانقته لكنه أمر بزيادة أفراد الحماية الملكية كي لا يتكرر هذا الأمر.

واستقر الملك في بريطانيا ليحيا حياة شبيهة لحياته في كوبنهاغن، مطارداً النساء وساعياً إلى إشباع غريزته النهمة في الجنس والكحول. ما تمتع فيه فعلاً هو أن يقلّد الخليفة العباسي هارون الرشيد فيمشي في طرقات العاصمة متنكراً، ما قاده إلى مغامرات مسليّة: ففي إحدى حانات سانت جيل، كان كريستيان

يغازل بائعة الكرز عندما فاجأه عشيقها الارلندي الضخم ويداه على ثدييها، فوجه إلى كريستيان لكمة طرحته أرضاً.. دافع كريستيان عن نفسه وقال إنه مستعد للمبارزة؛ وهنا تدخل مُولكه وهدأ من روع الارلندي الذي أظهر احتراماً لشجاعة هذا «الرجل». وجلس الأربعة يتنادمون بعد أن سُمح لكريستيان بتقبيل الفتاة، فكلفته هذه القبلة كيسه الملآن بالذهب نشلته الفتاة وخبأته في صدرها.

بلغت أخبار كرم كريستيان حداً أسطورياً. فعندما شاهد أحد الرجال يساق إلى السجن بيد دائنيه تتبعه زوجته وأولاده الباكون، أمر أن تدفع كل ديون ذلك الرجل وأن يزاد خمسمئة جنيه لجيبه.

وبعد ثمانية أسابيع، غادر كريستيان لندن فارتاح قلب الملك جورج الثالث. وكان الضابط الصغير غامبير قائد الفرقاطة فيكتوريا التي أبحر الملك كريستيان على متنها هو نفسه الذي ، بعد أربعين عاماً، سيهزم الدانمركيين شرّ هزيمة وسيقصف كوبينهاغن حين سيأخذ الدانماركيون صف نابليون.

كانت باريس محطة كريستيان التالية. لم يعارض الفرنسيون لهو كريستيان إذ كان ملوكهم ينتمون إلى الفصيلة العابثة نفسها. رسم الرسامون صورته وكتب الكتّاب والشعراء يمدحون خصاله وحدّثه الفلاسفة باللاتينية بعد أن تحلقوا حوله يستمعون إلى محاضراته التي ألقاها بلغة فرنسية تامّة. وفي غضون ذلك، استمر في كسب العلوم في التقنيات النسائية بواسطة عاهرات يلتقطهن من الشوارع، ونادلات من المطاعم وسيدات مجتمع من منازلهن.

وفي باريس، بدأت بوادر الشرود والهذيان تراود الملك، فاعتقد هولكه أن سببها تعب الأسفار خصوصاً أنه مسافر منذ ستة أشهر.

لكن عندما تذكر آخر أيام الملك فريدريك الطيب، أدرك أن الأمر أسوأ مما يظن.

في أوائل كانون الثاني/يناير ١٧٦٩، عاد كريستيان إلى بلاده، فاستقبلته الحشود وزوجته حتى باب القصر، وأنيرت كوبنهاغن كلها في تلك الليلة. استبشر الجميع خيراً في ضيق الهوة بينهما، لكن هذا الوفاق لم يدم طويلاً. فقد عاد الملك إلى عادته القديمة في إدمان الكحول والشهوات الغريزية، كمارفض سماع إنتقادات موجّهة إلى هولك وأجبر زوجته على تناسي البروتوكول وحضور زواج هولك.

وبعد ذلك، ظهر جلياً أن الملك بدأ يتوغل في السفاهة عندما رفض حضور الاجتماعات العامة وقراءة الاوراق الرسمية وحتى توقيعها، كما ازداد شروده، لكنه لم يكن خطراً حتى يوضع في الإقامة الجبرية... بالحقيقة، أمسى هولك هو الملك.

فكّر ستروينسي في تقوية موقعه في البلاط وقرر أن الملك يحتاج إلى عشيقة تقنعه كي يفعل ما يجب عليه فعله، شرط أن يقوم هو بالسيطرة على هذه العشيقة. فاختار امرأة جذابة ومثقفة، السيدة دوغابيل وتمكن من إقناعها من تقديم مصلحة البلاد على مصالحها الخاصة... فخضعت لمشيئته واستسلمت له وللملك. لكن هذا الاستسلام أسقمها فتوفيت بعد أشهر قليلة.

في غضون ذلك، أقنع ستروينسي نفسه أنه واقع في حب

كان ملك إسبانيا، ألفونسو، الذي حكم بين عامي ١٨٨٦ و١٩٣١ أصمّاً فوكّل رجلاً أطلق عليه لقب «رجل الأناشيد الوطنية» عمله إعلام الملك متى يبدأ عزف الأناشيد الوطنية لينتصب واقفاً.

الملكة، فلمّح لها بحبه طوال سنة حتى بادلته الحب وأمست عشيقته المتيّمة. هذه العلاقة بينهما مكنتهما من وضع أيديها على مقدّرات الحكم والمملكة وذلك بمساعدة زوج أب كريستيان وقبولها.

هزّت فضيحة هذه العلاقة القصر الملكي وكوبنهاغن بكاملها. فقد كان ستروينسي طبيباً من عامة الشعب لا منصب له بين النبلاء، وتصاعدت حدّة الفضيحة عندما اختارت الملكة أن تزور الأرياف الدانماركية مرتدية ثياب الذكور. صعق الشعب لهذا التصرف المشين بينما وقفت نساء البلاط ينتظرن خطأها المقبل. كان ستروينسي والملكة يحفران قبرهما بأيديهما. فقد استخدم هذا الرجل الليبرالي ما في يده من سلطة ونفوذ من أجل إجراء بعض الاصلاحات في النظام كالاعتراف بحرية الصحافة واستقلال القضاء، لكنه كان يشارك في حشد أعدائه سوية.

وصلت أخبار الملكة وأفعالها إلى والدها ملك بريطانيا جورج الثالث، فقرّر انقاذ ابنته من قبضة ستروينسي. علم هذا والملكة بوصول أميرة ويلز إلى الدانمارك فتحضرا لاستقبالها لكن هذه الأميرة اضطرت إلى العودة لبلادها دون ابنتها التي رفضت ترك عشيقها.

لكن عائلات أوروبا المالكة رفضت إبقاء الوضع الدانماركي على ما هو عليه وتقرر إنهاء هذه الفضيحة وإعادة الاعتبار إلى كريستيان مهما كلف الأمر. أتت الضربة الانقلابية من داخل القصر الملكي على يد الملكة جولينا ـ ماريا زوجة والد كريستيان. برغم كرهها للملك، قررت أن تبعد أولئك الذين يدنسون هذا العرش. إضافة إلى ذلك، رحيل ستروينسي يعني أنها ستصبح

وصيّة على العرش. وفي ليلة ١٦ كانون الثاني/ يناير ١٧٧٢، لجأ كريستيان إلى فراشه بينما بقيت الملكة وعشيقها يرقصان حتى ساعات الصباح الأولى. دخلت جوليانا - ماريا وحاشيتها غرفة الملك وأيقظته لتقنعه الملكة الأم بوجود مؤامرة لاغتياله، وأن ستروينسي هو عشيق الملكة. وعندما عرضت عليه أمراً خطياً باعتقال الملكة وعشيقها وأحد مرافقيه، براندت، وافق فوراً ومهر الأمر بتوقيعه.

اعتُقلت الملكة وعشيقها وبراندت فوراً وحوكموا بتهمة الخيانة. فقد براندت رأسه على المقصلة وتعرّض ستروينيسي للتعذيب حتى الموت. أما الملكة فقد أدينت بالزنا وألغي زواجها. توفيت بعد ثلاث سنوات بعمر الثالثة والعشرين.

لم يستفد كريستيان من هذا التغيير وهذا ما يظهر في ورقة رسمية كتب فيها: «نحن كريستيان السابع بفضل الله ملك الدانمارك...إلخ، تساعدني، بفضل الشيطان، جوليانا وشركاها.»

بقيت الملكة جوليانا وصيّة على العرش مدّة عشر سنوات حتى ألغي فريدريك ابن كريستيان وصايتها وأعلن نفسه وصيّاً مكانها طيلة فترة مرض أبيه. أصيبت الملكة بالفجيعة عندما رأت كريستيان يسلّم البلاد لابنه الصغير.

توفي كريستيان في العام ١٨٠٨ وأعلن ابنه فريدريك السادس ملكاً.

٤

فوضى وفضائح في صربيا

ملك الحمر

في ٢٩ أيار/مايو ١٨٦٨، خرج أمير صربيا، مايكل، يمارس هواية المشي المسائي في إحدى الحدائق قرب بلغراد يرافقه خادمان وثلاث قريبات. وعندما توقف ليرد تحية ثلاثة رجال صادفهم في الطريق، قام هؤلاء باطلاق النار عليه من الخلف وعلى مرافقيه. قُتلت إحدى السيدات على الفور بينما فرّ الباقون صائحين، تاركين الأمير ممدداً على الأرض يئن ألماً، فما كان من القاتلين إلا أن عادوا وطعنوه طعنات عديدة أودت بحياته. شاهدهم حارس الحديقة فأبلغ الشرطة سريعاً.

ينتمي القتلة إلى حزب «الكاراجورجيّة» المعارض لهذا الأمير المقتول. وكارا جورج (أو جورج الأسود) كان قائداً صربياً عظيماً جاهد ضد الأتراك عام ١٨٠٤ وطردهم من بلاده. لكن هؤلاء عادوا إلى اجتياح صربيا ونفوه من البلاد. نجح القائد الصربي الآخر، ميلوش أوبرين، في جلاء الأتراك عن بلاده نهائياً لكن وافق



أمير صربيا، مايكل أوبرينوفيتش

في معاهدة السلام على دفع الجزية لهم... وأمسى أمير صربيا. قطع رأس جورج الأسود دون أن يتراجع انصاره عن المطالبة بحقهم في العرش. ولهذا السبب أقدموا على قتل الأمير مايكل المتنزل من سلالة ميلوش أوبرين، في العام ١٨٦٨. أرعب هذا الاغتيال أنصار أوبرينوفيتش، لكنهم أبقوا خبر موت الأمير مايكل سرّاً. وبما أن

القتلة لم يتركوا آثاراً على وجهه، أجلس جثمان الأمير في عربة جابت شوارع بلغراد. كان المجرمون قيد الاعتقال فلم يتأكد لمشاركيهم في الخطة موت الأمير. وعندما شوهد الأمير في عربته، اعتقدوا أن مخططهم قد فشل. في غضون ذلك، أمكن لأنصار الأمير مايكل ومساعديه أن يجمعوا البرلمان ـ أو سكوبشتينا ـ ويعلنوا ولي العهد ميلان أميراً.

تنفس الاوبرينوفيتش الصعداء لانقضاء الأمر كما يريدون. لكن جزءاً كبيراً من الشعب شعر أن لا حق لميلان بخلافة مايكل إذ لم يكن ابنه أو حتى قريبه. فقد كان الأمير مايكل وحيداً دون أخوة أو أخوات ولم يرزق بولد، فما كان منه إلا أن بحث عن قريب «بعيد» هو ابن رجل مات بسبب ادمان الكحول وامرأة مشهورة بسمعتها السيئة. فانتشله من الفقر والوحل وارسله إلى باريس ليتعلم القراءة والكتابة وتناول الطعام على الأصول.

ما صدم أنصار كارا جورج مقدار محبة أهل بلغراد لأميرهم الصغير. فقد كان يتمتع بمسحة من تواضع العامة، وكبُر على الخصال الحميدة والشجاعة والمحبة. لكن اكتشف السياسيون عندما بلغ الثامنة عشرة حبّه للتبذير كما لو كان مليونيراً. لم يكن مايكل مبذراً أبداً، فعندما اعتلى ميلان العرش، كانت خزينة الدولة مليئة بالأموال المكدسة. أصيب الوزراء بالدهشة وباليأس عندما نصّ الأمير أمراً ملكياً باستبدال البيوت الخشبية في كل بلغراد بأخرى حجرية جميلة.. وتبع هذه البيوت المطاعم الراقية والملاهي الليلية ودور الميسر واللهو. لم يرَ الأمير مناسباً أن يصرف أمواله في اللهو في عاصمته، بل شعر أن خسارة أمواله في بودابست وفيينا وباريس أكثر ارستقراطية. وعندما وصلت أخبار خسائره المالية إلى بلغراد،

انخفضت شعبيته إلى الحضيض إذ رفض الفلاحون التعبون أن ترمي الضرائب التي يدفعونها على موائد الروليت. خاف مسؤولو البلاط من خلع الأمير وتنصيب أحد أعدائه مكانه، فاعتقدوا أن الحل سيكون بتزويجه حسناء ينجب منها ولياً للعهد ووريثاً للإمارة. لكن من يتزوج بصبي اسطبل سابق خزينته فارغة؟ أرسلت بيوت أوروبا الملكية اعتذارها وبدا أن حظ ميلان في بنات عامة الشعب. لم يعترض الأمير على ذلك مشترطاً أن تكون ثرية وجميلة القوام والوجه. وعندما وقعت انظاره على صورة ناتاليا كيستكو ابنة كولونيل روسي يمتلك نصف مولدافيا رائعة الجمال، وقع في غرامها فوراً.

كانت ناتالي واثقة، منذ عشر سنوات، أنها ستصبح أميرة إذ كانت في السادسة من عمرها عندما أخبرتها إحدى العرافات الغجريات أنها ستلبس تاج ملكة يوماً ما. فعندما وصل عرض الزواج من ميلان أمير صربيا، قبلت ناتاليا دون تردد.. فأن تكون أميرة يعني أنها قطعت نصف الطريق إلى تحقيق حلمها الملكي.

أحبها شعب بلغراد منذ النظرة الأولى، واستعرت حماستهم فأطلقوا سراح الأحصنة من عربتها وجرّوها بأيديهم. بدا للوهلة الأولى أن ميلان أصاب في فعلته هذه.. أقيم حفل الزواج في فيينا ما خيّب آمال الصرب. فتقليدياً، تقف صربيا في صف روسيا بمواجهة الامبراطورية النمساوية ـ الهنغارية بقيادة الامبراطور فرانز جوزيف. لكن هذا الامبراطور كان فاحش الثراء قادراً على تحويل هذا الزفاف إلى حدث رائع. سيكون بمقدور الشعب الصربي تحية الزوجين الملكيين حين مباركة الزواج في كاتدرائية بلغراد.

في ذلك اليوم المنتظر، عجّت الشوارع بالناس التي اجتمعت

لتحية الأمير وعروسه. وازداد الصراخ عندما أطلت الأميرة بثوبها الجميل ومجوهراتها اللامعة.. فأمسك ميلان بيدها وقادها إلى العربة الملكية جذلاً. وما إن صعد إليها حتى.. اكفهر وجه السماء دون سابق إنذار ودوى الرعد قوياً. ضرب السائق الأحصنة بسوطه فلم تتحرك. خيم الصمت الرهيب على الحشود إذ يعتبر ما حصل نذير شؤم في تلك البلاد. وعندما وافقت الأحصنة على التحرك أخيراً، كان الناس قد تفرقوا خائفين. في تلك الليلة، كانت الاحتفالات مكبوته تماماً.

كان الأمير مغرماً بزوجته لحد كبير لكن التناقضات بينهما بدأت بالظهور. كان هو يرزح تحت ثقل ديونه الكثيرة واعتقد أن زوجته ستبادر إلى إنقاذه من هذه الورطة بأن تقدم له مال المهر. لكن صدمته كانت بالغة عندما أخبرته أن ذلك المال موظّف في مشاريع عقاريّة. سألها أن تبيع هذه العقارات فرفضت. كان أقرباؤها قد أنذروها أن الأمير يتزوجها من أجل مالها وصمّمت على أن تخيب آماله. وأخذ عشقه لها يُخفت أكثر فأكثر عندما اكتشف أن جمالها الأخاذ يخفي بروداً عاطفياً.

كان ثمة مشكلة أخرى، اعتقد الصرب المعتزون بنسبتهم إلى السلافية أن ناتاليا، برغم روسيتها، متفرنجة أي متغرّبة بسبب تربيتها على يد أساتذة غربيين وستجر الأمير إلى الانحراف.. وقد صحّ اعتقادهم. فقد أغرم ميلان بالغرب وأظهر مقته للسلاف العاجزين، ولهذا كان يقف في صف النمسا كلما كان عليه الاختيار بينها وبين روسيا، دون أن يعلن ذلك علانية خوف أن يقوم حزب كارا جورج بتحريض الناس ضدّه.

في العام ١٨٧٦، بدأ الأتراك يذبحون المسيحيين في بلغاريا،

فقرر ميلان إعلان الحرب على تركيا.. لكن قلة درايته العسكرية وضعت قواته في مآزق حرجة.. هب السلافيون من روسيا لمساعدته، وجرت الحرب الروسية ـ التركية، فأنهى الحرب لصالحه. احتفل الصرب بهذا الانتصار وكأنه انتصارهم وذاع صيت ميلان في أوروبا. وازداد حب الشعب له عندما قدمت لهم ناتالي ولي العهد الذي سمّي ألكساندر.

لكن ميلان لم يكن سعيداً بالدب الروسي والحماسة السلافية. فقد تأكد له أن الروس يفضلون البلغار على الصرب ولهذا، وبعد سنة من الحرب على تركيا، وقع معاهدة سرّية مع فيينا.. وكان الأمير جيداً جداً في حفظ الاسرار وإخفائها.. فقد أخفى على الجميع مقته وكراهيته لناتالي حين تم تقديم ولي العهد للشعب. وبما أنه رجل يحتاج إلى امرأة في سريره، بدأ يلاحق نساء البلاط. وعندما اكتشفت الأميرة خيانته، انفجرت غاضبة ما زاد الطين بلة. أخيراً، استحكم العداء بينهما ليصل بينهما إلى درجة حيث بدأ يضربها.

كان عزاؤها الوحيد إعلان ميلان ملكاً عام ١٨٨٢، ما يعني أنها أصبحت ملكة. لكن حياتها استمرت بائسة وقامت بينهما حرب باردة. وبينما أظهرت ناتالي أن الإنسان الوحيد الذي تحب هو ابنها الامير ألكساندر (المعروف بلقب ساشّا) إنطلق هو في غزواته النسائية العديدة، داخل البلاد وخارجها.

نصّب الأمبراطور الروماني المجنون كاليغولا حصانه إنسيتاتوس قنصلاً. فكان الحيوان يتناول الطعام على مائدة الملك، واستمر في منصبه بعد اغتيال كاليغولا وتنصيب عمه كلاوديوس خليفة له.

بعد أن أصبحت ناتاليا ملكة، بدأت تتحسّب للجزء الثاني من نبوءة العرافة. هذا الجزء الذي حاولت طويلاً نسيانه: فقد أخبرتها أنها ستفقد منصبها الملكي بسبب أمر له صلة بالخشب. وبينما كانت تمرّ في الغابات، كانت تتنبّه لكل غصن ناتىء من الاشجار.

بالحقيقة كانت المنتقمة امرأة تدعى أرتيميسيا شريستيش التي كانت إبنة تاجر خشب، وزوجة سكرتير ميلان الخاص، وعشيقة الملك. كانت أكبر من الملك بسنوات عديدة دون أن يأبه لهذا الأمر إذ وهبته الانتباه والحنان اللذين كان يعوزهما. خضع الملك لها حتى اعتقد سكان البلاط أنها ساحرة. وعندما حملت بطفل بادر زوجها إلى تطليقها.. بعد ذلك، بدأ الملك يتحدّث عن نيته في طلاق زوجته، وأدرك الجميع أنه سيتزوج من أرتيميسيا، فقام الوزراء بالتأكيد له بإستحالة طلاقه من ناتالي لأنها لم تأت خطأ أبداً. وفي بحثه عن الحل رأى أن ترافق الملكة ابنها في أسفاره إذ بلغ الحادية عشرة ووجب أن يرى العالم. وافقت ناتالي على هذا الاقتراح بحماسة وانتقلت إلى فيسبادين ثم إلى خارج البلاد ـ عندئذٍ، تنفّس الصعداء وعمل أن لا تعود إلى صربيا. وبمرور الوقت، علمت أن بقاءها خارج البلد قرار اتخذه زوجها. وفي حزيران/ يونيو ١٨٨٨، ارسل لها رسالة طلب فيها فسخ الزواج وعودة ولي العهد إلى بلغراد وحيداً.

ما كان من ناتالي إلا أن حولت قصتها إلى قضية عامة معترضة على قرار الملك الجائر. تجاهل ميلان كل هذه العاصفة وابعد عنها ابنها بالقوة. تألمت كثيراً إذ حامت شكوكها حول تلك العشيقة التي لا بد أن تسمّم لساشا كي تقتله وتفسح المجال لابنها أوبرن ـ بعد زواجها من الملك ليصبح ولي العهد.

حلّ فسخ الزواج ـ في الكنيسة الارثوذكسية ـ كارثة على البلاد إذ كان الصرب محافظين وهالهم سلوك ملكهم الذي لا يغتفر.. عندئذٍ، قرر ميلان أن يتخلى عن العرش لمصلحة ابنه. فقد عنى هذا القرار في تفكيره أنه سيكون بعيداً عن متناول أعدائه، الذين لن يقوموا بقتل طفل، وسيقدر على الحياة كمواطن عادي في أوروبا على حساب المملكة وعلى التمتع بالملذات. وبرغم معارضة الوزراء، أعلن تنحيّه يوم ٢٢ آذار/ مارس ١٨٨٩، لكن أحداً لم يصدقه بل سرت شائعة أن ذلك لم يكن صوت الملك، وأن أرتيميسيا ساحرة سحرت الملك وأمسى دمية بيدها. لكن ذلك كان حقيقياً، إذ بادر الملك بعدها إلى مغادرة مملكته إلى أوروبا ليعود إلى حياة العبث التي اعتادها منذ كان في الثامنة عشرة.

الملك والعامي

في قصة حكم أوبرين لصربيا، ثمة غزوات غريبة، أحداها ما حصل يوم مقتل الأمير مايكل. ففي إحدى البلدات تدعى أوجيتسا، كان الفلاح (ماتا) يركض في الشوارع صارخاً: «لقد قتلوا أميرنا». أوقفته الشرطة عندما عمّ خبر موت الأمير مايكل واعتبرته مشتبهاً فيه، لكن جيرانه أكّدوا أنه قادر على الرؤية في الغيب والمستقبل.

سألته الشرطة إن كانت لديه تنبؤات أخرى، فقام ماتا، بحضور العمدة، بالتنبؤ بمصير صربيا لسنين طويلة مستقبلية. تمّ تدوين كل ما قال في محاضر رسمية، وعرفت مقالاته بالنبوءة السوداء، وفيها أن ميلان سيتنحى يوماً عن منصبه الملكي.. وعن خلافة ميلان، كان ماتا متشائماً جداً.

وكذلك فعلت إحدى العرافات الفرنسيات التي زارتها الملكة ناتاليا وتدعى السيدة دوثيبيس. رافقت الملكة في هذه الزيارة صديقتها المخلصة دراغا ماشين. قالت العرّافة إن الملكة تغذي أفعى خبيثة في داخلها، لكن الملكة السابقة لم تفهم. وعندما سألت دراغا ماشين عن مستقبلها، أجابت العرافة: «ستتزوجين من رجل عال المستوى، لكنك ستدمرينه، وستموتين معه». لم تأبه المرأتان لهذا الكلام، بل انصرفتا عنها دون تفكير في نبؤاتها الغريبة.

كانت دراغا ماشين فتاة من الطبقة الوسطى أفلس والدها ومات زوجها لتجد نفسها فقيرة تتنقل من عشيق إلى آخر حتى انتشلتها الملكة ناتاليا وجعلتها وصيفتها. كانت هذه شديدة الاخلاص للملكة، فما شكت هذه أن دراغا هي الأفعى التي تكلمت عنها العرافة، وما اعتقدت أبداً أن دراغا قد تتزوج من ابنها لتكون نهاية العهد على يديها.

كان ساشا ولي العرش، وميلان في أحد المنتجعات يقامر أو يلاحق إحدى النساء. وبما أنه دون أب أو أم وتحت سلطة حارس قاس، كتبت ناتالي إلى جوفان ريستيش، رئيس الوزراء السابق وواحد من ثلاثة أوصياء على العرش، تطلب السماح لها بالعودة إلى بلغراد. ردّ رافضاً مصمماً على إبعادها عن الوصاية على الأمير، خصوصاً بعد أن رأى خطوط الناس المصطفّة لاستقبال ناتاليا. وصلت هذه إلى القصر فوجدت الابواب موصدة ومحروسة جيداً. صاح الجمع الهائل غاضباً لكن الحراس رفضوا فتح الأبواب. أجبرت ناتالي على المكوث في منزل في شارع الأمير مايكل. وكانت تأتي كل يوم إلى القصر تحدّق في نوافذه علّها تلمح ساشا ينظر منها فيراها، واستمرت الجموع التي تتجمع حولها في اعتبارها

ملكتهم الشرعية، وأمسى ريستيش الرجل المكروه جداً في بلغراد، ووجد نفسه في ورطة كبيرة. أخيراً، اتصل بالملك تلغرافياً يطالبه بالسماح للأمير ساشا باستقبال والدته، فرد ميلان بالقبول؛ فسمح لناتالي بالدخول إلى القصر حيث كان ساشا ينتظرها بفارغ الصبر.. ومع مرور الايام، عادت ناتاليا إلى برودها العاطفي الذي أبعد زوجها عنها، وقامت برواية أحوالها وأحوال القصر للصحف الباحثة عن الفضائح ـ كما الحال الآن ـ فأمست سريعاً مصدراً للحرج.

طلب ريستيش منها الرحيل فأبت. استدرج البرلمان لاتخاذ قرار بنفيها فما استمعت إليه. أخيراً، لجأ ريستيش إلى صلاحياته كوصي على العرش وأجبر ساشا على قراءة قرار النفي أمام والدته على سؤالها الرضوخ لأمر البرلمان، فاضطرت ناتاليا إلى مغادرة القصر غاضبة متوعدة.

وبعد قليل، وصلت الشرطة إلى منزلها في شارع الأمير مايكل وأجبرتها على الصعود إلى عربتها. في هذه الأثناء، كان الناس الذين يحبون الملكة قد تجمهروا وتحلقوا حول عربتها لمنعها من السير فاضطر رجال الشرطة إلى استعمال القسوة لتفريقهم. وقامت ثورة صغيرة هناك، فأمسك بعض الرجال بناتاليا وأخرجوها من العربة لكن الرجال المسلحين أعادوها وبدأوا يحركون العربة. ازداد عدد الناس الثائرين، فلم تجد الشرطة مفراً من إطلاق الرصاص لكنها امتنعت عن ذلك ورضخت لمشيئة الشعب الذي أرجع الملكة إلى بيتها. استمر الشغب حتى المساء، وقتل عدد من الناس العزل تحت ضربات رجال الشرطة.

قلق ريستيش وأعوانه لهذا الأمر، فقد بدا لهم أن الملكة باقية في

البلاد بإرادة الشعب. ووجب حل المسألة قبل استفحالها. في تلك الليلة، تسلل الجنود إلى بيت ناتالي بعد أن رحل عنه حراسها من الفلاحين الذين اقتنعوا أن الملكة آمنة الآن. نقلت ناتالي ووصيفتها إلى محطة القطار بإحدى العربات وعندما استيقظت بلغراد في اليوم التالي، كانتا بعيدتين جداً عن المنال.

واتخذ البرلمان الصربي قراراً آخر منع كلاً من ميلان وناتاليا من الدخول إلى الأراضي الصربية. بخلاف ناتاليا، كان ميلان مسروراً لهذا القرار الذي وفّر له مليون فرنك فرنسي مقابل تعهده بعدم العودة إلى صربيا.

أما ساشا، فقد أمضى السنوات مكسور القلب محاطاً بالجواسيس الذين كان همهم إبقاءه بعيداً عن أمه. رجل واحد أبدى تعاطفه هو معلمه الفرنسي المتشرب بالحرية. تعلم ساشا معنى الليبرالية السياسية وأدرك أن صربيا تحت حكم ريستيش سجن كبير. وافق هذا المعلم أن يكون صلة الوصل بين ساشا وأمه وأبيه المنفيين إذ كان سهل عليه الاتصال بهما لكثرة سفره إلى فرنسا. وبرغم الكراهية التي يكنانها الواحد للآخر، لم يجد ميلان وناتاليا ضرراً في التوحد من أجل خلع ريستيش وأعوانه. فإن تم ذلك تمكنا من رؤية ابنهما والوصول إلى مال الخزينة.

في ١٢ نيسان/ابريل ١٨٩٣، دعا الأمير ساشا كل وزرائه وقواده إلى العشاء فلبوا الدعوة مندهشين. وبعد تبادل الأنخاب، وقف الأمير وأعلن أن الأوان قد آن لتتويجه ملكاً أصيلاً، وقال إنهم سيبقون في ضيافته في القصر.. حاول أحدهم الخروج لكن الحراس منعوه. وعندما ثار ريستيش غاضباً، تلقّى لكمة قوية أعادته إلى هدوئه.

أفاق الشعب في بلغراد ليعلموا أن ريستيش لم يعد حاكمهم بل الأمير ألكسندر. عم الفرح بين الناس خصوصاً بعد إعلان الملك عن حكومته الجديدة المنتمية إلى الحزب الراديكالي. قبل عامة الناس بالتوجهات الغربية لهذه الحكومة إذ أدركوا أنها تعمل في خدمة القضية السلافية والحلم الصربي، ووافقوا فوراً عليها إذ تأكدوا أنها موالية لروسيا.

أنصار كارا جورج كانوا وراء هذا الانقلاب واعتلوا السلطة بدلاً من كراسي المعارضة. بقي الملك من آل أبرين لكنه كان طفلاً لا خطورة منه. لكن ما خافوا منه أن يصبح الملك الكساندر شعبياً كما والدته فتسوء حالهم ثانية. فراهنوا على ارتكابه الأخطاء التي ستدفع الناس إلى كرهه... وهو لم يخيب آمالهم.

حياة ساشا القاسية حولته إلى كثير الشكوك. ونقص الحنان جعله بارد العواطف. قرر زيارة والدته في بيارتيز حيث أقامت بلاطاً مصغراً وكست الجدران فيه بصور ابنها وأطلقت عليه اسم «ساشينو». سرّت كثيراً لرؤية وحيدها البعيد عنها حين وصل ليقيم عندها. ولقي ساشا استقبالاً هائلاً هناك إذ أرادت كل سيدة أن تقيم الحفلات على شرفه. لكنهالاحظت أن ابنها هذا أخرق بارد العواطف قليل الإبتسام وأدركت أن السنوات التي قضاها دون حنان ورعاية أدت إلى حاله هذه.

تقبل ساشا فكرة فشله الاجتماعي واعتكف منطوياً على نفسه. لم يجد أحداً يرتاح في الحديث إليه إلاّ وصيفة والدته، دراغا ماشين. برغم نبوءة العرافة، لم ترَ ناتالي ما يمنع هذه العلاقة. كيف لها أن تصدق أن يقع هذا الصبي الأخرق في حب امرأة عمرها ضعفا عمره؟ فيما بعد، لامت ناتالي نفسها لأنها لم تباعد بينهما،

لكنها لم تصدق أبداً أن يكونا في علاقة عاطفية حميمة واعتبرت الأمر خارجاً عن المنطق.

لكن ذلك كان صحيحاً. فقد تعلق ساشا بدراغا إلى درجة كبيرة. ومن بياريتز، انتقل لزيارة أبيه في فرنسا. هناك كان ميلان قد حضّر لابنه أسباب اللهو في دور الميسر وبيوت الدعارة. فوجىء لرؤية ابنه على هذا النحو، وظن أن سبب إعراضه عن الممثلات والنساء هو حياؤه أو عجزه. ولم يدر أن ساشا ترك قلبه في بيارتيز.

وجد الكساندر حلاً لمشكلته، فقد رأى أنه أمسى قادراً على التدخل في حياة والديه المنفصلين، وطلب إليهما العودة إلى القصر كزوج وزوجة بعد أن أعلن إلغاء قرار فسخ زواجهما. رضي ميلان إذ اعتقد أنه سيضع يده على ثروة زوجته، ورضيت ناتالي إذ ستعود إلى قصرها في بلغراد لتكون ملكة فيه. وسرّ الكساندر إذ ستصطحب أمه معها وصيفتها دراغا ماشين.

أمست ناتالي الحاكم الفعلي للبلاد إذ كانت تعقد اجتماعاتها الخاصة مع الوزراء لتقرر الأصلح بالنسبة إلى البلاد، فيوافقها ابنها فوراً دون اعتراض. أما ميلان، فقرر عدم العودة إلى بلغراد وأعلن راحته في باريس.

أما الحكومة، فقد بدأت تعامل الملك الكساندر بلا مبالاة صريحة بعد أن قبل الخضوع لآراء أمه وأبيه، وأخذت تنتقده بشدّة، فما كان منه إلا إيقاف العمل بالدستور الليبرالي وامتلاك الصلاحيات الواسعة لكي يفرض آراءه على البرلمان والوزراء.

توثقت علاقته بدراغا أكثر فأكثر، وتمكن في العام ١٨٩٦ أن يدخل فراشها بعد أن رفضته بشدّة طوال سنوات. وكانت تلك المرّة الأولى التي يذوق فيها طعم السعادة الحقيقية في حياته...

احتفظا بالسرّ طويلاً إذ أدركا مدى الفضيحة إن انكشف أمرهما. لكن في أحد الأيام، وقعت إحدى رسائل ساشا الغرامية إلى دارغا في يد ناتاليا، فغضبت جداً وأمرت دراغا بالرحيل.. فلم تجد ملجأ سوى ساشا في بلغراد. تلقفها هذا بيديه مسروراً لتحقق حلمه الجميل، واستمع إلى قصتها مع والدته. فأمر بالعناية بعائلتها وأسكنها في منزل في شارع كراون قرب قصره ورصد لها المال الكافي لمعيشتها. ثم رافقها في رحلة شتوية إلى تايرول كانت بمثابة شهر عسلهما.

ومن أجل إغاظة ناتالي، طلب ساشا من أبيه العودة إلى بلغراد من أجل إعادة تنظيم الجيش، فعاد ميلان وأثبت للجميع أنه قائد عسكري فذّ، كما قرر أن تدفع مرتبات الجنود بوقتها دون تأخير. وبعد أن أطمأن لحال الجيش؛ عاد إلى عاداته الشهوانية القديمة. فعاش سنوات عديدة في بلغراد قبل أن يطرد منها لشيوع أخبار المعاهدة السرّية التي عقدها مع النمسا، فتوجه إلى فرنسا حيث ابتدأ يفكر بتنفيذ مخطط يرمي إلى إبعاد أنصار الروس عن ابنه وذلك بإقناعه أن يتزوج من أميرة نمساوية أو جرمانية تؤمن له الدعم الأوروبي.

أثناء مكوث ناتاليا القصر في بلغراد، حاولت تزويج ابنها لكنه

أول أمبراطور على الصين من عائلة مينغ، هونغ وو، كان مرعوباً من روح خليفته الذي كان ينتمي إلى عائلة يوان. فاعتقد أن هذه الروح تعيش في بيينغ عاصمة الأمبراطور يوان، وليتخلص منها أمر بتدمير هذه المدينة تدميراً كاملاً لكن قبل تنفيذ أوامره، حضر هونغ مع المؤرخين للإشراف على تسجيل روعة القصر المنتصب في وسط المدينة.

رفض بإصرار كل الفتيات اللواتي قدّمن له. والآن، يصّر على رفض مشورة أبيه. فهو غارق في حب دراغا حتى أذنيه ومصمم على أن تبقى هي ملكته ولو سرّاً في منزلها في شارع كراون. لم يكن ينوي الزواج بها لكنه رفض أن يضطر إلى الزواج بأخرى.

كان المكر في دمه ورثه عن أهله، فأظهر قبولاً لعرض أبيه بالزواج من أميرة جميلة وذكية وثرية. لكنه عاد وتفكّر في الموضوع. إن كان لن يخضع لزواج بالقوة فلم لا يستغل نفوذه الملكي ليتزوج من المرأة التي يحب؟

يقول آخرون إن فكرة الزواج من دراغا دخلت عقله واستوطنت فيه عن طريق السحر، أي بواسطة مسحوق سحري حصلت عليه دراغا من إحدى صديقاتها الرومانيات استقدمتها من ساحرة هناك. وقالوا إن هذه الرومانية هي عميلة للروس دسّوها في صربيا كي توصل دراغا إلى منصب الملكة فتدفع الناس إلى كره الكسندر.

في أثناء ذلك، وصل مبعوث من ميلان يبشر فيه الكسندر بقرب العثور على زوجة له ألمانية. أدرك أهل بلغراد أن دراغا عشيقة الملك إذ كان يمضي ليله في بيتها، وتقلّه عربة إلى قصره في الصباح الباكر، فأسفوا لكون ملكهم قد وقع ضحية السحر كما حصل لوالده حين وقع ضحية سحر أرتيميسيا.

لكن العثور على العروس الألمانية أحيا الآمال من جديد، بجهود الملك السابق ميلان ورئيس الوزراء الحالي الدكتور جورجفيتش. والمدهش في الأمر خضوع ساشا وقبوله الزواج من الأميرة الألمانية، لكنه طلب منها الراحة قليلاً. اعتقد أنه رضخ بعدما عزم على الزواج من الأميرة وإبقاء دراغا عشيقة له، فذهبا في رحلة نقاهة، ميلان إلى كارلسباد والدكتور جورجفيتش إلى مارينباد. وبعد

شهر، اتصل نائب الوزراء بالدكتور جورجفيتش وأخبره بالكارثة التي ستحلّ على صربيا، فقد أعلن ساشا نيته الزواج بدراغا. فاتصل بالملك وسأله عن صحّة هذه الشائعة. ولما أكدّ له الأمر، قدّم استقالته فوراً. أما ميلان الغاضب، فأرسل رسالة إلى ولده أكّد فيها أنه سيعترف فوراً بالحكومة التي «ستطردك من بلادك بعد هذا الجنون». وما إن استلم الكسندر هذه الرسالة حتى أمر بتمديد مفعول قرار طرد ميلان من صربيا، وأوقف المال الذي كان يتقاضاه من خزينة الدولة. وبعد سنة، توفي ميلان مفلساً وهو لم يبلغ السابعة والأربعين بعد.

في بلغراد، حاول الوزراء ثني الملك عن قراره الفظيع واتهموا دراغا بسوء السمعة، لكنه أصر على قراره راداً أنها أشرف امرأة رآها في حياته وأنه لا يفهم لماذا يصرون على تمريغ اسمها بالوحول. فقصد هؤلاء دراغا ورجوها انقاذ الملك والمملكة والرحيل فوافقت وتركت بيتها قاصدة إحدى صديقاتها ريثما يتم التحضير لخروجها من البلاد. لم تمض ساعات حتى اكتشف الملك مكانها وأعادها إلى دارها ثم إلى القصر، وأعلن صراحة أنه سيتزوج منها.

كان عليه أن يشك في الأمر عندما راسله قيصر روسيا مهنئاً وعارضاً أن يكون إشبينه في الزواج إذ كان هذا القيصر يتوق لرؤية الكسندر مطروداً من العرش ومكانه كراجورجي موالي لروسيا. وكان الزفاف في كاتدرائية بلغراد رائعاً حضره السفير الروسي ممثلاً القيصر الذي تعذر مجيئه لأسباب خاصة بالدولة، لكنه عجز عن إفراح الشعب المصاب بخيبة كبيرة.

عندما أعلنت دراغا أنها حامل، أمل الكساندر أن ينفتح قلب

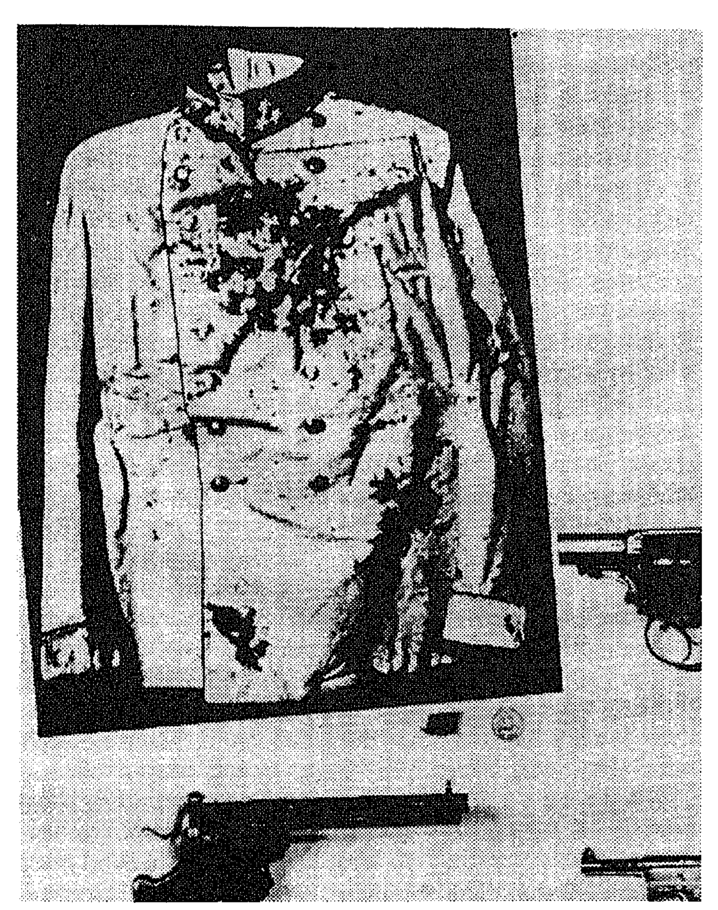
الشعب لها. لكنه لم يعرف أن أنصار والدته أشاعوا أن وصيفة ناتاليا قد خضعت منذ زمان بعيد لجراحة أفقدتها خصوبتها. وعندما لاحظ الناس أن أخت دراغا كانت حاملاً أيضاً استنتجوا أن الملك ينوي تقديم ولي عهد زائف إلى الشعب الصربي.

وصلت الأخبار إلى أذني القيصر خصوصاً أنه أشبين للملك وعراب مستقبلي لابنه البكر. ولم يكن ينوي التعرض للإحراج بالوقوف عراباً لرجل مزيف، فأرسل اثنين من أطبائه لإجراء الفحوص اللازمة على دراغا. وأتت النتيجة كما توقع الجميع. لم تكن دراغا حاملاً أبداً، وقال الأطباء ـ مداراة لخاطرها ـ انها مصابة بمرض نسائي تتشابه أعراضه وأعراض الحمل، لكن أحداً لم يصدق هذا الادعاء.

في العام ١٩٠٣، أتم الكسندر جنونه بتعيين شقيق دراغا ولياً للعهد. وعندما قال أحد قواد الجيش إن هذا التعيين الخاطىء سيؤدي إلى ثورة شعبية أجاب ساشا: «أنا ملك أفعل ما أريد»، وأضافت دراغا أن «كلمة الملك تعلو كل كلام». وانتهى الحديث عند هذا الحد.

كل هذه الحوادث حتمت حصول الانقلاب. فأمسى الكلام حول عزل الكسندر وتنصيب كاراجورجي مكانه علنياً. كان قائد المتآمرين الكولونيل الكساندر ماشين، شقيق زوج دراغا السابق الذي يتهمها بتسميم أخيه وقتله. عين الملك وزوجته أقرباء دراغا في المناصب العليا في الجيش.

هنا، يلعب السحر دوراً جديداً. في ٢٠ آذار/مارس ١٩٠٣، كان الناشر اللندني و.ت. ستيد مجتمعاً مع أصدقاء له متحلقين حول الوسيطة الروحية السيدة بورشيل. وكانت هذه من النوع



البدلة التي كان يرتديها الملك الكسندر الأول عند اغتياله
ويبدو المسدس الذي استعمله الجاني

الذي يرى تاريخ الأشياء ومستقبلها حين يمسها بيديه. وما إن أمسكت برسالة تلقاها ستيد من السفير الصربي بداخلها ورقة ممهورة بتوقيع وخاتم الملك الكساندر حتى قالت: سيقتل وزوجته في قصره. سيدخل عليهما الرجال ويطلقون عليهما النار. وسيطة أخرى كانت في الغرفة أضافت أن الرجال يرتدون ملابس عسكرية روسية.

كتب ستيد كل ذلك في رسالة وجهها إلى الملك الكساندر من طريق السفير الصربي، لكن الملك العلماني سخر من هذا الكتاب وتجاهل الانذار.

في بلغراد، كان المتآمرون في غاية النشاط، وتقرر اغتيال الملك والملكة أثناء مغادرتهما إحدى الحفلات؛ لكن كثافة الناس المتحلقين حول الملك حالت دون إطلاق النار. فكان القرار النهائي بتنفيذ عملية الاغتيال في القصر. وتحدد موعد التنفيذ في ١٠ حزيران/ يونيو ١٩٠٣، ذكرى اغتيال الأمير مايكل.

بحلول حزيران ١٩٠٣، كان الكسندر ودراغا حبيسي القصر الملكي إذ عم الكره تجاهما في الشعب الصربي كله. لكن الملك أمل بدعم الأم روسيا متطلعاً إلى القوات القيصرية في السفارة الروسية كي تساعده وتحميه.. أجّل المتآمرون تاريخ التنفيذ إذ أرادوا التداول في صحّة قرار الاغتيال وصوابه. وكان التاريخ الجديد ١٦ حزيران/يونيو.

كان الجو حاراً في تلك الليلة، وقام أحد موظفي القصر بتخدير حرس الملك الخاص وسرق منهم مفاتيح القصر وسلّمه للكولونيل ماشين والفصيلة العسكرية التي انضمت إليه. فتح القصر ودخله المتآمرون فقتلوا الحراس وكسروا الأبواب الداخلية بحثاً عن الملك وزوجته، لكنهم عجزوا عن ذلك في بادىء الأمر.

كان السفير الروسي يشاهد ما يحصل من شباك في السفارة إذ كان على علم بالعملية وباركها.

أمضى المتآمرون ساعات بحثاً عن الملك والملكة دون أن يوفقوا إلى العثور عليهما، لكن خطأ قامت به دراغا أودى بحياتهما. فبينما كانا ينتظران في الظلام انقضاء الأمر، لم يعلما أن الجيش هو

من يدمّر القصر. فنظرت من النافذة ولوحت منادية لأحد الجنود «الموالين»، فأطلق ورفاقه النار عليها دون إصابتها.. عادت إلى مخبئها لكن الثوار عرفوا مكانها الآن.

أطلقت النيران الكثيرة على الملك والملكة حتى بعد موتهما، وطعنا بالسيوف، ورمي جثمان دراغا المشوه من النافذة إلى الحديقة ثم جثمان الملك، فعلا صياح الابتهاج، وأوغل الجنود تقتيلاً بالموالين للملك وبأقرباء زوجته، كما ذبح كل مناصري أوبرينفينش في بلغراد.

لم تتوقف المذابح إلا بعد تهديد رئيس الوزراء النمساوي - الهنغاري أن جيوشه ستعبر الدانوب وتحتل بلغراد. وفي ١٦ حزيران/ يونيو، وصل بيتر كارا جورجفيتش من منفاه في جنيف وتّوج ملكاً على صربيا.

٥

مسألة مايرلينغ

يعتبر إقدام أرشيدوق هابسبورغ رودولف على الانتحار بعد أن قتل عشيقته ذات الثمانية عشرة ربيعاً الفضيحة الملكية الكبرى في العصور الحديثة.

لو عاش رودولف لكان رئيس امبراطورية منهارة. فعهد آل هابسبورغ حكم أوروبا لسبعمائة سنة لكن بإنتهاء القرن الثامن عشر، كانت الامبراطورية ممزقة شر تمزيق بعد أن طالبت الأمم الراضخة تحت حكم الامبراطور بالإستقلال التام. وثورة ١٨٤٨ دفعت الامبراطور فرانز جوزيف على التمسك برفضه لكل الاصلاحات لكنه كان عاجزاً عن ذلك تماماً.

كان فرانز جوزيف نظامياً قاسياً ينهض في الرابعة صباحاً لمراجعة أوراق الدولة الرسمية. زوجته الامبراطورة إليزابيت كانت جميلة وحساسة فلم تستسغ جو بلاط زوجها الذي تسيطر عليه والدته، لذلك قضت معظم أوقاتها تسافر حول أوروبا غير راضية أبداً عن حالها.

ورث ابنها رودولف صرامة والده وحساسية والدته، فأمسى



الأرشيدوق رودولف اوف هابسمبورغ

ظابطاً في الجيش فخوراً بعدد النساء اللواتي دخل مخادعهن واضعاً أسماءهن في دفتره الخاص ـ الأرستقراطيات باللون الأحمر وبنات الشعب باللون الأسود. برغم كل ذلك، كان إنساناً بالغ الذكاء.

تسلل إليه الملل من كل شيء خصوصاً بعد رفض أبيه أن يسمح له بتذوق المسؤولية والسلطة.

وما إن بلغ الثالثة والعشرين حتى زوجوه من أميرة بلجيكية تدعى ستيفاني في السابعة عشرة من عمرها. غير أن هذه الفتاة

الحمقاء والأنانية زادت من ملله لكنها أنجبت منه طفلة جميلة. أصيب رودولف بالكآبة وأخذ يتناول المورفين. وعندما فتش الامبراطور الألماني أحوال جيش فرانز جوزيف في العام ١٨٨٨، احتج على وضع فرق المشاة تحت قيادة رودولف العاجز، فتم نقله ليكون ذلك ضربة جديدة إلى ثقته بنفسه وأخبر بعض أصدقائه الضباط نيته بالانتحار. لم يأخذوا كلامه على محمل الجد لكنهم أخطروا الشرطة بالأمر.

ساءت علاقته بوالده أكثر فأكثر، وبدأ يخطط لإسقاطه عن عرشه. صديقه الهنغاري الكونت ستيفين كارولي سعى في البرلمان الهنغاري إلى وقف الدعم المادي عن جيش فرانز جوزيف، بعد أن وافقه رودولف في مخططه عزل الامبراطور وتتويجه مكان والده. فلو نجح ذلك لربما قدر بتوجهاته الليبرالية على إنقاذ الامبراطورية النمساوية.

كانت ماريا فيتسيرا مراهقة جذابة تزوجت أمها من أحد النبلاء النمساويين. فما إن رأت رودولف حتى قررت أنها مغرمة به، ونجحت في التعرف إليه بواسطة صديقتها الكونتيسة ماري لاريش، قريبة رودولف. وهو لم يكن يرضى أن يرفض قبول عذرية فتاة قدّمت إليه؛ وأمسيا عشيقين في ١٨٨٨. في غضون ذلك الوقت، كان ما يزال يفكر ملياً في الانتحار.

في ٢٨ كانون الثاني/يناير ١٨٨٩، تلقى رودولف رسالة من بودابست. وبعد أن قرأها، نصّ رسائل وداعية عديدة وشدّ رحاله إلى كوخ الصيد في مايرلينغ حيث اتفق أن يلتقي ماريا التي سوف تهرب من أمها. وبدا أنها وافقت على خطة الانتحار.

نظم رودولف حفلة صيد فحضر أصدقاءه؛ وفي ٢٩ كانون



عشيقة الارشيدوق ماريا فيسترا

الثاني/يناير زعم أنه مصاب بالبرد وبقي في القصر. وفي تلك الليلة، تعشّى مع الكونت هويوس بينما بقيت ماريا في غرفتها بالطابق العلوي. وبعد أن غادر الكونت، وافى عشيقته وتحدثا عن طريقة الانتحار التي سيعتمدان، فقررا أن يكون رصاص المسدس هو جواز لسفرهما إلى الخلود. قتل رودولف ماريا فوراً وانتظر هو حتى السادسة صباحاً عندما أمر الخدم بتحضير الفطور ثم عاد إلى

غرفته وتناول كأساً من البراندي ثم.. أطلق النار في رأسه. إكتشفت الجثتان بعد ساعات قليلة.

صعق فرانز جوزيف للخبر، وانهارت الامبراطورة عندما قرأت رسالة ابنها الوداعية. وحصل الجدال في البلاط إن كان يجوز دفن رودولف في مدافن الكنيسة لأنه انتحر. في هذه الأثناء مدد جثمانه في الكنيسة الكبوشية في فيينا بينما رمي جسد ماريا العاري في الغابات ليبقى مفقوداً أياماً عديدة.

يبقى غامضاً لماذا قتل نفسه ولماذا اختار ـ هو الكاثوليكي ـ أن يحمل جريمة قتل ماريا في ضميره. الإجابة عن السؤال الثاني هو أنه كان جباناً لا يريد أن يموت وحيداً. فهو ما أحب ماريا إذ قضى ليلته قبل مغادرة فيينا مع عاهرة تدعى ليزي كايسبتر.

في العام ١٩٨٣، أعلنت الامبراطورة السابقة زيتا، آخر سلالة هابسبورغ أن مقتل الأمير وعشيقته لم يكن انتحاراً بل اغتيالاً سياسياً، إذ كان للأمير أعداء كثر. وتؤكد أنها تمتلك إثباتات وأدلّة كثيرة بين أوراقها تثبت صحة قولها، وتشير إلى اختفاء الكثير من الوثائق بعد عملية القتل ومنها رسالة طويلة من الامبراطور إلى البابا

حاربت ملكة بريطانيا بوديكا الرومان سنة ٦١ بعد الميلاد وأخرجتهم من بلادها، لكن قسوتها كانت أسطورية. وفيما يلي مقطع يصف فيه المؤرخ ديو كاسيوس لندن بعد نهبها: «...تعرض الأسرى الذين وقعوا في قبضة البريطانيين لشتى أنواع التعذيب.. فقد علّقت النساء وقُطِعَت أثداءهن فخيطت إلى أفواههن وكأنهن يأكلنها، ثم أدخلت فيهن الخوازيق لتعبر أجسادهن بكاملها.. وكل ذلك كان يواكبه مآدب وحفلات خليعة ماجنة..».

ليو الثالث يطلب فيهاالسماح بدفن ابنه حسب الطقوس المسيحية. واختفت هذه الرسالة أيضاً من أرشيف الفاتيكان.

في أيلول/سبتمبر ١٨٨٩، كانت الامبراطورة إليزابيت تدخل يختاً في جنيف عندما تقدم منها الفوضوي لويجي لوشيني وطعنها حتى الموت. فارتاحت من مأساتها التي ابتدأت بإنتحار ولدها.

بموت رودولف، توّج فرانز فرديناند ولياً للعهد. وعندما قتل وزوجته في سارايفو في ٢٨ حزيران/يونيو ١٩١٤، ابتدأت الحرب العالمية الأولى وكان الدمار الأخير للأمبراطورية النمساوية.

٦

الملكة فيكتوريا وجون براون

ساد خوف فعلي على مستقبل الملكية في بريطانيا خلال ستينات القرن التاسع عشر عند اكتشاف فضيحة الملكة الأرملة فيكتوريا ورجل بلاطها المفضل جون براون. كانت الجمهورية قد بدأت في الظهور في أوروبا عام ١٨٤٨، عام بيان ماركس وإنجلز الشيوعي، وأخذت تنتعش آمال الجمهوريين في بريطانيا، خصوصاً بعد وصول الضيف من الملكية إلى أوجه باعتكاف الملكة عن الحياة العامة بعد موت الأمير كونسورت عام ١٨٦١. أما إشاعات العلاقة الغرامية بين الملكة وخادمها الخصوصي فقد نفذت كالسيف في أجهزة الحكم وفي الشعب.

بعد موت براون عام ١٨٨٣، كتبت الملكة إلى أخيه هيوغ: قلت له دائماً أن لا أحد يحبه كما أفعل أنا وأجابني «وأنا.. لامن يحبك حبي». لكن بقي موضوع الشكوك والجدال إن كان هذا الحب أفلاطونياً. ولعبت الصحافة دوراً محرضاً بنسج الروايات ورسم اللوحات التي تظهر الشغف في عيني براون والشبق في عيني الملكة. وأعلنت صحيفة «غازيت دو لوزان» السويسرية أنهما

تزوجا سرّاً وأن الملكة حامل بطفل براون. وفي بريطانيا، بدأ النبلاء والشعب يشيرون إلى الملكة باسم «السيدة براون». ومن بقي يشك في هذا الأمر انتفت شكوكه بعد موتها عام ١٩٠١، عندما أمر إبنها الأكبر، الملك أدوارد السابع، بإحراق كل الصور التي تجمع الملكة وبراون وتدمير كل تماثيله في القصر وتحويل مكان إقامته إلى غرفة للعبة البلياردو.

ولد جون براون في ٨ كانون الأول/ديسمبر ١٨٢٦ من أب مدرس وأم هي إبنة حداد. عمل في إحدى الاسطبلات التي انتقلت فيما بعد إلى ملكية الملك في ١٨٤٨. وعندما بدأت الملكة وزوجها في الترحال متنكرين، عبر البلاد للصيد رافقهما كخادم فيكتوريا الخاص. وعنه كتبت الملكة إلى عمها ملك بلجيكا ليوبولد

قد تكون الملكة فيكتوريا التي يرتبط اسمها بالرزانة الجنسية طفلة غير شرعية. هذه نظرية د .م و و.ت.و. بوتس في كتابهما «مورثة الملكة فيكتوريا». وتعتمد هذه النظرية على حقيقة تؤكد أن بعض أولاد الملكة فيكتوريا يحملون مورثة مرض النزاف. هذا المرض المتوارث الذي يمنع تخثر الدم يصيب الدم فقط ويمرره النساء إلى أولادهن دون أن يصبن به.

وما هو مؤكد في وثائق العائلات الأوروبية المالكة أن أدوارد، دوق كنت ووالد فيكتوريا المفترض، لم يكن مريضاً بهذا المرض. أما الوثائق حول والدة فيكتوريا فهي غير موجودة. لكن قبل زواجها من إدوارد، كانت تزوجت وأنجبت ولدين صحيحين. كما أن ذلك الفرع من فروع العائلة المالكة حرٌ تماماً ونقي من ذلك المرض. فإذا لا يمكن أن تكون فيكتوريا قد ورثت المرض من والدتها. لكن من أين أتت هذه المورّثة.

قد يكون الخلل حصل في فيكتوريا أو في والدتها، أي يمكن أن

الأول: «يعتني بي جيداً مازجاً بين عمله في الخدمة والحراسة ويعرف الكثير عن الأقنعة والشالات».

توفيت والدة فيكتوريا، دوقة كنت، في آذار/مارس ١٨٦١ ولحقها زوجها ألبيرت في العام نفسه بسبب الحمى التيفوئيد. فوجدت فيكتوريا نفسها، بسن الثانية والأربعين، تحمل حزناً كبيراً مضافاً إلى مسؤولياتها عن تسعة أطفال وعن مملكة هي الأمة الأقوى في العالم.. ما أدى إلى عدم توازنها خصوصاً تعد موت زوجها وتعليق صوره فوق كل سرير نامت فيه، وبعد أن استمرت الخادمات تأتي بلباس نومه من أجل شبحه كل مساء، وبكوب الماء الساخن للحلاقة كل صباح. أقفلت غرف ألبيرت في قصور باكينغهام وويندسور وأسبورن وبالمورال بعد تصوير محتوياتها

يكون المرض ابتدأ في إحدى المرأتين. لكن هذا الاحتمال بعيد إذ إن نسبة حصول هذا الأمر حوالى واحد على مئة ألف، فيبقى لدينا إمكانية أن لا يكون دوق كنت والد فيكتوريا الحقيقي.

يعتقد مؤلف كتاب «مورّثة الملكة فيكتوريا» أن فيكتوار (والدة فيكتوريا) اختارت عشيقها ليكون والد طفلتها بسبب عقم إدوارد زوجها. ويكمن الدليل على ذلك في أن عشقية إدوارد التي ضاجعها سنوات طويلة لم تحمل أبداً، وهذا مستغرب في بداية القرن التاسع عشر. فعلى سبيل المثال، أنجبت عشيقة ويليم الرابع عشرة أطفال خلال فترة علاقتهما.

في زمن ولادة فيكتوريا، لم ينجب أي من أولاد جورج الثالث طفلاً شرعياً حياً. حتى جورج الرابع لم يكن له خليف.. يبدو أن عبارة «القيمة الفيكتورية» تحتاج إلى بعض التبديلات.



الملكة فكتوريا

لاعادة كل شيء إلى مكانه المحدد والصحيح بعد حملات التنظيف.. وبسبب كل هذا، حمّلت فيكتوريا ابنها بيرتي، أمير ويلز، مسؤولية التعجيل بوفاة أبيه بسعيه الدؤوب وراء الفضائح الجنسية، ودخلت في حزن وحداد داما سنوات عديدة رافضة الإهتمام بشؤون المملكة.

وفي ١٨٦٤، وصل جون براون إلى بيت الملكة في أوسبورن

رابطاً مهرها المفضل إلى عربتها الملكية، فوقع وصوله وقع الدواء الناجع إذ رأى أهل القصر ابتسامتها التي فقدتها منذ موت زوجها. لسوء الحظ، عادت الملكة إلى طبيعتها لكن بدأت الثرثرة والاشاعات تعمّ المملكة. ما تزال هي في الخامسة والأربعين وملتزمة شهوانيتها وهو في الثامنة والثلاثين وسيماً طويلاً ومخلصاً لَها.

ولم يمرّ زمن طويل قبل أن تعينه الملكة خادماً لها بمرتب يصل إلى ١٢٠ جنيهاً سنوياً على أن لا يتلقى أوامره إلا من فمها مباشرة. فبدأ يلازمها في الدخول والخروج وجرؤ على محادثتها دون ألقاب أو تكليف بينهما. وعندما وصلت هذه الأخبار إلى أعضاء حاشية البلاط الآخرين ساد الاستنكار العام الذي تضاعف عندما أدّى شجار بين براون والكولونيل جون منيل إلى إبعاد هذا الأخير إلى منصب في الهند مجبر على تنفيذه.

عمت الشائعات حول علاقتهما خصوصاً بعد تحميله مسؤولية عدم عودة الملكة إلى لندن إثر النكسة التي منيت بها حكومة اللورد جون راسل، وبعد شيوع الأخبار الصحفية عن ثملها بعد شرابها الكثير من الويسكي المصنع في بالمورال، وظهر الخبر التالي في «جون أو غروتس جورنال (John O'Groats Journal) من مراسلها في لندن:

> «أعتقد أن كل قرائي قد علموا بأمر جون براون المفضل في البلاط. أسباب صرفه من الخدمة منذ بضعة أسابيع كانت حديث الناس، لكنه سيعود إلى مركزه قريباً جداً، تعود إلى إنغماسه في شراب الويسكي، وسيعاد تعيينه في منصبه حالما يفيق من هذا الثمل».

وفي أيلول/سبتمبر ١٨٦٦، أفاد مراسل غازيت دو لوزان نقلاً

عن المجتمع اللندني أن الملكة تزوجت براون سراً وتتجنّب الظهور علانية لإخفاء حملها الجديد. وأضاف «أن الملكة تستعين ببراون لتنسى موت الأمير ألبرت، وأنها لم تحضر احتفال إزاحة الستار عن تمثال الأمير ألبرت من أجل إخفاء حقيقة حملها. لكن أقاويل زواج الملكة من خادمها تخفف من وطأة خبر هذا الحمل الجديد».

يورد الكاتب تيسدال في كتابه «سيرة الملكة فيكتوريا الشخصية« أن كراساً بعنوان «السيدة جون براون» طبع سراً في لندن ووزع في الإدارات والبيوتات النبيلة، وفيه خبر برنامج زواج الملكة السري من جون براون. لم يُعرف من موّل نشر هذا الكتيب وتوزيعه لكن قيل إن الحزب الجمهوري كان وراءه.

انضمت الصحيفة الساخرة «توماهوك» سريعاً إلى المعادين للملكية من أجل مضاعفة بيعها، وخرجت في عددها الأول تحمل لوحة كاريكاتورية تصوّر الملكة في ثياب الحداد على حصانها، وقربها جون براون مرتدياً الأسود أيضاً، وتحتها تعليق: « كل ما هو أسود أمسى بني (براون) ». أثارت هذه اللوحة موجة عارمة من الضحك والسخرية واكبتها انتقادات صحفية قاسية للوحة، وصوّرتها صحيفة «ساترداي ريفير» أنها أكثر إساءة للملكة من زواجها.

وفي شهر حزيران/يونيو، حملت «توماهوك» في طياتها لوحة مغيظة أكثر من غيرها. فقد صوّرت عرشاً مهجوراً وعليه الثوب الملكي وقربه التاج المغطى بالزجاج، وتعليقاً: «أين بريطانيا؟». أما لوحة تموز/ يوليو فكانت الأسوأ إذ أظهرت جون براون بلباس الاسطبل على العرش ينظر إلى أسد بريطاني. تنبأ تسيدال أن تسبب هذه اللوحة فضيحة في مجلس العموم لجرأتها ووقاحتها المعادية

للملكية، لكن ذلك لم يحصل أبداً. ربما لأن العموم أنفسهم يعرفون أن توماهوك تقول الحقيقة.

شهد العام ١٨٧١ تصاعداً في أسهم الحزب الجمهوري وشعبيته. لم يكن السبب الوحيد علاقة الملكة ببراون بل تعداه إلى التبذير الملكي في صرف ثلاثين ألفاً من الجنيهات في زواج الأميرة لويز ماركيز لورن، بينما يتقاضى الأجير قروشاً قليلة شهرياً. فاتهمت الملكة بإساءة تدبير الأموال العامة، وبغيابها الدائم عن معالجة مشاكل المملكة وشؤون شعبها. صحيفة التايمز لقبت الملكة فيكتوريا ب «الغائبة الكبرى» واعتبرتها «بول مول غازيت» الملكة الخفية. وعندما مرضت في ذلك العام، لم تصدر بيانات طبية عن القصر لإخطار الشعب، حتى عندما وصلت إلى نزاعها الأخير. بينما ركع الشعب كله يصلي لشفاء أمير ويلز عندما أصابته حمى التيفوئيد كما والده. وبإعلان البيانات الملكية التي تظهر تدهور صحة الأمير، تغيرت عواطف الشعب من حاقد إلى مناصر وخائف. وعندما أعلن شفاء الأمير، كانت القوى الجمهورية المعادية للملكية قد أنهكت وماتت.

أفاد جون براون من رياح التغيير. فبينما كانت الملكة في عربتها، برفقة ولديها ألفريد وليوبولد تجتاز ريجينت بارك من أجل شكر الشعب على مواساته وصلاته ـ وكان براون على سطح العربة كالمعتاد ـ اقترب أحدهم من العربة الملكية ورفع مسدساً في

في العام ١٨٨٩، كان شاه إيران ضيفاً على الملكة فيكتوريا، فحاول شراء مركيزة لندندري. وفي مناسبة أخرى، أعتقد أن ضيفات إحدى الحفلات هن زوجات أمير ويلز، فاقترح أن تقطع رؤوسهن ويستبدلن بنساء حسناوات أخريات.

وجه الملكة. تردد الأميران وصرخت فيكتوريا طالبة النجدة وحاولت الإختباء خلف وصيفتها اللايدي جاين شيرشيل، فما كان من براون إلا أن قفز سريعاً ضارباً الرجل ومطارده حتى أمسك به...

كان المسدس مزيفاً والرجل مختلاً عقلياً، لكن هذين الأمرين لم يؤثرا على «شجاعة» جون براون، فتحول في أنظار الناس من مكروه إلى بطل صنديد. كافأته الملكة بترقيته إلى مرشح لرتبة فارس وضاعفت مرتّبه.

توفي في العام ١٨٨٣ عن ستة وخمسين عاماً، فظهر نعيه في ٢٥ سطراً، وحضرت الملكة مراسم دفنه وأعلنت نيتها في تأليف كتاب حول حياة براون. صعق مساعدوها ووزراؤها لأن ذلك سيذكي نار الفضيحة، لكنهم لم يجرؤوا على قول ذلك. ولم تعدل عن قرارها إلا حين استقال دين ويندسور من منصبه احتجاجاً.

٧

لودفيغ ولولا

عندما اعتلى لودفيغ الأول عرش بافاريا في ١٨٢٥، كانت البلاد تنعم بالسلام والازدهار. فقد ملّ والده من دعم نابليون في حروبه الأوروبية ونقل بندقيته ليقاتل مع التحالف الأوروبي، وبذلك حفظ بلاده من التدمير والخراب الذي حلّ بالممالك والدول الأوروبية.

كان لودفيغ وسيم المحيا بشاربين صغيرين لا يوافقان الموضة الأوروبية السائدة آنذاك التي تحتم شاربين كثين ولحية تغطي الوجه. يُرد رفضه لمناصب أسلافه الحربية إلى صممه الذي أُصيب به وهو بعد طفل جراء دوي أحد المدافع. انكب في اهتمامه على آثار العالم القديم آخذاً على بافاريا افتقارها إلى عظمة اليونان أو روما، ولذلك بنى التماثيل والأبنية الفنية في بافاريا وحول ميونخ إلى واحد من أهم المراكز الثقافية الأوروبية. وفي راتيسبون، نصب تمثالاً له مرتدياً ثوباً رومانياً فضفاضاً.

لم يسعد الجميع لرؤية محب للفنون معتلياً العرش، فأظهر جاره النمساوي الأمير ميترنيخ المحافظ عدم ثقته بهذا الملك، واعتبر

محاولة لودفيغ تحويل بافاريا إلى «أثينا الألمانية» سمة تنمّ عن ضعف العقل. وعندما أظهر لودفيغ احتراماً بالغاً للكنيسة، دس ميترنيخ اليسوعيين في بلاطه ليحكموا البلاد بينما هو منهمك في تأليف الشعر وزيادة المتاحف وصالات الفنون.

بنتيجة ذلك، تمّ احتقار وتجاهل الدستور الليبرالي البافاري الذي ساعد لودفيغ نفسه في نصه عام ١٨١٨. وبرغم المعارضة التي أظهرها البرلمان ـ الدايت ـ سلّم لودفيغ البلاد لليسوعيين الذين بدأوا استرجاع القرون الوسطى وتوطينها في بافاريا. وانقضت عشرون سنة أصبحت خلالها بافاريا واحة حنين للقرون الوسطى ومركزاً مهماً للسياحة العالمية.

ثم وصلت العاصفة.

في أحد أيام ١٨٤٦، كان لودفيغ منهمكاً في قراءة وثائق رسمية في مكتبه عندما سمع ضوضاءَ في الممر الخارجي. وقبل أن يتسنى له الخروج والسؤال عما يحصل، انفتحت الأبواب ودخلت سيدة تصارع اثنين من الحرس الملكي، مرتدية ثوب الراقصات الاسبانيات.

وقبل أن يأمر بطردها، استلت المرأة سكيناً من صدرها وشقّت ثوبها من الثديين إلى الحاشية، فوقع قميصها أرضاً. تنحنح الملك وأمر الجميع بالخروج ثم سأل الغريبة نصف العارية عما تريد. وعندما بدأت الكلام، أعلمها أنه أصمّ وعليها الإقتراب منه. وعندما انحنت لتلصق فمها بأذنه، لاحظ الزرقة الرائعة في عينيها.

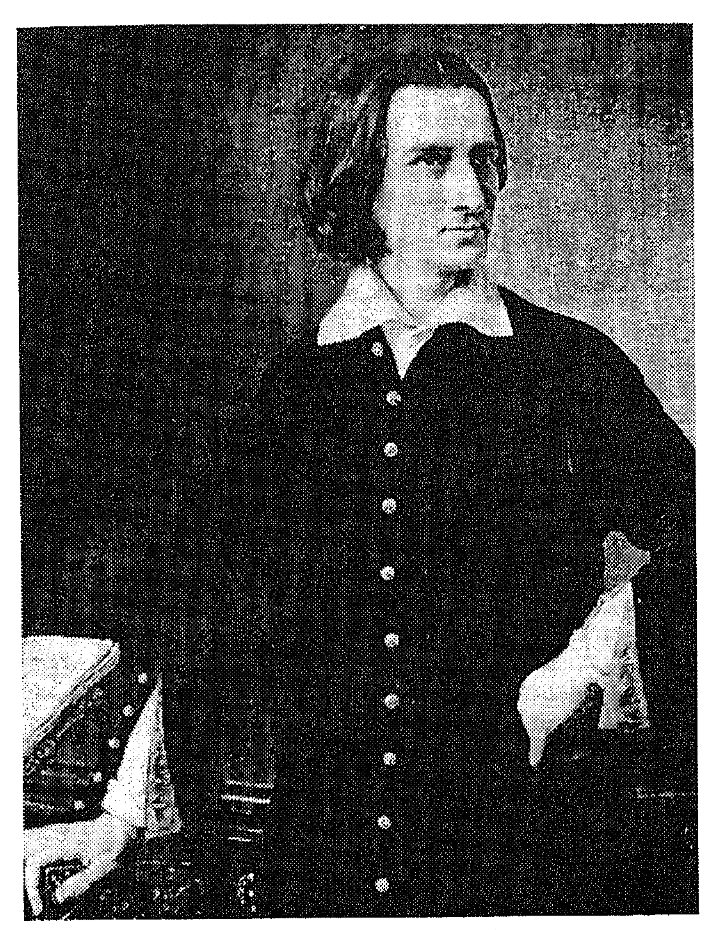
كانت هذه لولا مونتيز المغامرة وعشيقة العباقرة والراقصة غير الموهوبة. كانت مجهولة الأصول لكنها أكّدت انها الابنة غير الشرعية لأحد ملوك أوروبا. حتى جنسيتها الأصلية كانت

مجهولة، فقد كان بإمكانها التكلم بتسع لغات حتى الهندوسية. وحين قدمت نفسها بهذه الطريقة إلى لودفيغ كانت معروفة في عواصم أوروبا بالمرأة الطموحة التي تعيش من جاذبيتها الجنسية.

بحسب مذكراتها، لم تشارك في ثورة وارسو في العام ١٨٣٠ فحسب، بل كانت سبب إندلاعها. في ذلك الوقت كانت روسيا تحتل بولندا، وكان نائب القيصر الروسي يبغي النيل منها بواسطة المال والهدايا، لكنها رفضته لأنه قبيح الوجه أولاً ولأن الروس يقمعون الشعب البولندي ثانياً. أحسّ هذا بالإهانة فارسل تابعيه إلى حيث كانت ترقص ليفتعلوا أصواتاً تدلّ على قباحة رقصها كل ليلة. تعبت أخيراً من هذا العمل المشين فوقفت على المسرح وأعلنت للجمهور البولندي أن هؤلاء استخدمهم الحاكم الروسي ويحميهم مدير المسرح الموالي للروس. فقام البولنديون الوطنيون بإسكات هؤلاء وبحماية لولا في طريق عودتها إلى الفندق حيث تقيم. وبعد ذلك، بحسب روايتها، ثاروا ضد الروس وطردوهم من الأراضي البولندية. وفي الفوضى التي تبعت هذا الأمر، انقذ القنصل الفرنسي لولا وهربها خارج البلاد حفاظاً على حياتها الثمينة.

الجزء الممكن تصديقه هو وجودها في بولندا في تلك الحقبة، وقيام البعض بإزعاجها أثناء رقصها دون أن يكون السبب الفعلي ما قالت.

وتتابع رواية قصتها فتقول إن الصحف تنبّهت إليها عندما كانت عشيقة المؤلف الموسيقي فرانز ليزت ذي الجاذبية الجنسية التي كانت تدفع بالنساء إلى الإغماء أثناء عزفه على البيانو. لكن ليزت قرر إنهاء علاقته بها بعدما قامت لولا بالرقص على مائدة عشاء



عازف البيانو الهنغاري الشهير فرانز ليست

حضرته الملكة إليزابيت، يرافقها زوجها الأمير ألبرت. بعد ذلك، أمست وجهاً مشهوراً في صالونات أوروبا، واتخذها الكساندر دوماً عشيقة. ووصلت إلى قمّة سوء السمعة حين خاض صحفي يدعى دوجاريه مبارزة لأجلها وقتل. وخلال المحاكمة قالت باكية أنه كان يجدر بها خوض المبارزة مكان عشيقها إذ هي أفضل منه في الرماية.

بعد هذه الحادثة، عادت إلى الرقص. وفي العام ١٨٤٦، في أواخر عشريناتها، قررت أن تلفت انتباه الملك لودفيغ إذ احتاجت أن تلتقيه لتشكو إليه مدير مسرح ميونخ الذي نقض اتفاقه معها بحجة انخفاض مستوى رقصها.

لم يعلم ماذا حصل في خلوة الملك مع لولا نصف عارية، لكن بعد أيام، عرّف الوزراء ومستشاريه اليسوعيين عليها قائلاً إنها «صديقته المقربة»، وعرف الجميع أن الملك دخل مرحلة الاعجاب. شعر اليسوعيون بالضيق إذ ستذكره هذه المرأة بأيام كان فيها ليبرالياً، ما يهدد كل ما بنوه حتى الآن. وتضاعف استهجانهم عندما دعا الملك النبلاء إلى حفل خاص ترقص فيه لولا، لكن حسن الحظ قضى أن لا يكون ثمة نقاد في الحفل ليدلوا بآرائهم التي ما كانت لتكون في صالح هذه الراقصة.

لم يهتم اليسوعيون بأن يتخذ لودفيغ عشيقة.. فهو حرّ في ما يفعل داخل مكتبه؛ لكن ما يقلقهم كان آراء لولا السياسية. فلا بد أنها التقطت بعض الأفكار التقدمية أثناء مخالطتها للمثقفين الليبراليين في أوروبا. وبعد أن لاحظت أنه لا يهتم للسياسة بقدر اهتمامه بالفن، رأت أن واجبها تثقيفه سياسياً.

وفي صباح أحد الأيام، بدأ يلقي قصيدة ألفها هذا مطلعها:

بك أمست حياتي نبيلة،

ودونك كانت متوحدة وفارغة

حبك هو غذاء قلبي،

وبدونه لا بدّ سأموت!

فقاطعته فوراً وأشارت إليه أن حياته تذبل إن بدأ كسر قيود

الجزويتيين عن البلاد. فهؤلاء يسيطرون تماماً على مقدرات المملكة كلها. وافق الملك لكنه أضاف أن الادارة كلها ستنهار. فأجابت لولا، لا يبدأ من رأس الهرم إلى قاعدته إبتدءً برئيس الوزراء اليسوعي بارون آبيل.

أخذ يفكر جدياً في كلماتها. لطالما أشبعوه كلاماً حول كَونه ملكاً يحكم بلداً كاثوليكياً.. فلم لا يكون حقاً. فعندما عارضته الحكومة في قرار تجنيس لولا بالجنسية البافارية، أقالها وعين مكانها حكومة ليبرالية برئاسة غراف ذورين الذي لا يعارض اعلان لولا كونتيسة لاندسبورغ أو بارونة روزينتال.

عمّ خبر حماقة الملك بافاريا، فكاتبته أخته صوفيا أرشيدوقة النمسا أن يتخلى عن هذه المرأة الساعية خلف المال، لكنه لم يجب.

نفذت الحكومة الجديدة أفكار لولا حرفياً، واستطاعت هذه اقناع الملك وقف الدعم عن الاعمال الفنية ورصد الأموال من أجل بناء قصر أسطوري تسكنه. وأثر هذا النفوذ المفاجىء على طباع لولا التي كانت سيئة بالاصل. فقامت بصفع قائد الشرطة وضرب مهندس القصر الداخلي بمزهرية زجاجية.

سُعد بها الليبراليون والبروتستانت لكن الشعب البافاري كان

طيلة فترة حكم امبراطور روما يوليوس قيصر، لازمته شائعة تقول إنه كان عشيقاً لملك بيثينيا، نيكوميديس. ولم تمت أخبار الفضيحة بل سجلت في سجلات متعددة. فقد أثار يسينيوس كالفوس: «الى سعادة ملك بيثينيا الذي لاط بالقيصر على مضجعه». أما بيبيلوس فيقول عن قيصر: «ملكة بيثينيا... أرادت أن تضاجع ملكاً، واليوم تريدأن تصبح رجلاً».

في أوج غضبه. أفرحتهم حرية الصحافة لكنهم حزنوا للحصول عليها بواسطة امرأة كان لها عشرات العشاق، وخصوصاً بعد أن سمحت هذه الحرية برسم لولا في لوحات مشينة.

حتى تلامذة الجامعات الذين يعتبرون خزان وقود الليبرالية رفضوا اصلاحات لولا ووافقوا معلّميهم اليسوعيين في قولهم إنها تقود البلاد إلى الخراب، إلا مجموعة منهم عاشت في قصرها لحمايتها تقدر بعشرين طالباً. وتقول مدبرة القصر إن لولا تلهو معهم لهواً معربداً لساعات طويلة. الأستاذ جوهان دوليخير كتب إلى صديق له: «كانوا بالنسبة إلى لولا مونتيز حريماً ذكوراً. وأقول ممّا سمعت من بعضهم إنها كانت ميسالينا أخرى». ويعرف طلاب التاريخ الروماني أن ميسالينا عربدت مع كتيبة من الجنود الرومان فضاجعتهم وتركتهم منهارين تماماً.

لسنتين، كانت لولا الحاكم الفعلي في بافاريا برغم كل جهود اليسوعيين والسياسيين المحافظين والجيران المعنيين كميترنيخ في تغيير الوضع الشاذ، وذلك لأن لودفيغ أمن لها الحصانة الكاملة ونبذ كل من ينتقدها.

لم توفر النساء فرصة لإهانتها، فكانت إذا قصدت المسرح، أخلين المقصورات المجاورة، وإن دخلت مخزناً حاولن عدم الإقتراب منها وكأنها مغطاة بالوحل.. ضايقها هذا الأمر فاشترت كلباً ودربته على مهاجمة اليسوعيين. كان هذا الكلب السبب غير المباشر لسقوط لولا. ففي أحد الأيام إلتقت في الشارع بأستاذ الفلسفة فون لاسولكس وهيجت كلبها كي يهاجمه. فاجتمع مع زملاء له واعترضوا. لكن إزاء رفض الملك هذا الاعتراض، قامت قائمة الطلاب وافتعلوا الشغب وهاجموا بيت لولا ورموا الحجارة



لولا مونتيز عشيقة الملك لويس الأول

عليه.. لكنها كانت آمنة منهم على شرفتها تشرب الشمبانيا إذ منع الجيش الناس الهائجين من الاقتراب. وبعد قليل وصل الملك فصمت الجميع.. دخل القصر وخرج لا يأبه للناس فشتموه.. وكانت تلك أول مرّة يهان فيها الملك علانية.

تحولت العاصمة إلى ساحة حرب بين الجيش والطلاب. وتحولت لولا سجينة في قصرها المنيف. وقامت الثورة في بافاريا متزامنة مع الثورة التي عمّت أوروبا في العام ١٨٤٨. وعندما وجد

لودفيغ الخطر يهدد العرش، اضطر إلى إعلان نفي محبوبته من البلاد، فأخرجت تلاحقها الزجاجات المكسورة والطلقات النارية.

لم تيأس لولا فتنكرت بزي فلاحة ودخلت على لودفيغ ترجو منه أن يعود عن قراره، فأمر بوضعها على الحدود السويسرية، لكنها عادت مرتدية زياً ذكرياً فأبعدها ثانية ونصحها أن تزور طارد أرواح ليخرج الشر من أعماقها. أملت أن يحنّ عليها ففعلت ما أراد. وخلال فترة السجن التي أمر بها هذا الساحر، لم يسمح لها بتناول طعام سوى عصير التوت فضعفت وهزلت وفرّت عند أول فرصة.

جبن لودفيغ لم يحم عرشه من رياح التغيير التي يطالب بها الجميع، فاضطر إلى التنحي لصالح ابن أخته الذي أصبح الملك ماكسيميليان الثاني في العام نفسه.

أما لولا فعادت إلى ترحالها معلنة أنها كونتيسّة لاندسفيلد وتعيش من مجوهرات التاج الملكي التي سرقتها من قصر لودفيغ. وفي انكلترا تزوجت من أحد النبلاء وانتقلت معه إلى إسبانيا بعد أن رفضها أهله. وهناك قامرت وخسرت كل أموال زوجها الذي بقي وفياً لها حتى بعد أن طعنته بالخنجر.. ويعتقد أنه توفي بسبب الكحول.

عادت إلى المسرح ومثلت سيرة حياتها في بافاريا فربحت مالاً كثيراً وسمعة سيئة. وعندما خفّ وهجها كممثلة مسرح، هاجرت إلى أميركا ووصلت كاليفورنيا في أيام فورة البحث عن الذهب. وهناك تزوجت من صحفي وأذهلت الجميع برقصها الغريب، وتوفيت هناك إثر إصابتها بالسفلس في العام ١٨٦١ عن عمر ثلاثة وأربعين. وبرغم إصابة لودفيغ بالمرض نفسه، عاش سبع سنوات إضافية ليموت عن عمر يناهز الثمانين عام ١٨٦٨.



٨

الملك والسيدة سيمبسون

في العام ١٩٣٦، دخلت قوات هتلر أراضي الراين واندلعت الحرب الأهلية في إسبانيا، لكن ذلك لم يغطِ على تفاصيل حكاية الحب بين الملك إدوارد الثامن والمطلقة الأميركية السيدة واليس سيمبسون، التي أمست الفضيحة الأكبر بين الفضائح الملكية البريطانية لأنها اعتبرت تهديداً للملكية في بريطانيا وللدستور أيضاً وانتهت بتنحّي الملك ورحيله عن المملكة.

كان حبّ الملك للسيدة سيمبسون التي تزوجت مرّتين، الذي بدأ منذ كان أميراً لويلز، سراً مفضوحاً داخل العائلة المالكة والحكومة وصالونات لندن ونيويورك وعواصم أوروبا. وبرغم قيام الصحف الاميركية بالتنبؤ بزواج الملك «ووالي» وحتى تحديد موعد الزفاف، خبىء الموضوع تماماً عن البريطانيين حتى وصلت الأزمة الدستورية إلى أوجها. وبعد ذلك، عجز عن تتويج المرأة التي يحب ملكة خصوصاً أنه سيتوّج قريباً وواجهه الوزراء بأن خيّروه بين المرأة التي يحب والتاج الملكي، فما كان من الملك إلا أن أعلن التنحي عن العرش لصالح أخيه ألبيرت، دوق يورك، وأبحر إلى منفاه



ثلما فورتيس

الإختياري في ليلة ١١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٣٦ على ظهر مدمرة بريطانية بعد خطاب وجهه إلى الأمة عبر المذياع. وفي حزيران/ يونيو ١٩٣٧، تزوج من السيدة سيمبسون في شاتو دو كاندي قرب تورز في فرنسا. لم يحضر القران أيّ من أفراد العائلة المالكة، كما ابتعد أصدقاء إدوارد عنه، وتولى الإكليل كاهن أنغليكاني مجهول من دراينغتون.

وفي ليلة الزفاف، وصلته الهدية الملكية «اللعينة»، كما وصفها. فقد صدر قرار بمنع لقب «السموّ الأميري» عن زوجته.

ولد الأمير إدوارد في ٢٣ حزيران/يونيو ١٨٩٤ ليكون بكر الملك جورج الخامس والملكة ماري، وتعمّد مسيحياً بإسم إدوارد ألبيرت كريستيان جورج أندرو باتريك دايفيد وعرف بدايفيد. أما السيدة سمبسون فولدت في ٢٩ حزيران/ يونيو ١٨٩٦ في بلو ريدج ساميت، بينسلفانيا، أي في الولايات المتحدة الأميركية، وتعمّدت مسيحية بإسم بيسي واليس وارفيلد.

ذاع صيت «دايفيد» وأمسى الأمير الأكثر شعبياً في تاريخ ويلز. كثرت أسفاره وهو ولي العهد الملكي فكانت الحاشدة تتلقاه بالتحية والهتافات أينما وصل. توفي والد بيسي واليس وتركها دون مال، فانتقلت برفقة والدتها إلى بالتيمور حيث تولّى أقرباؤها تعليمها في المدارس. تزوجت السيدة وارفيلد ثانية عام ١٩٠٨ وثالثة ١٩٢٦ إثر وفاة زوجها الثاني.

في العام ١٩١٦، التقت بيسي واليس القبطان البحري ونفيلد سبنسر جونيور وتزوجته ليتطلقا بعد خمس سنوات، فتزوجت إثر ذلك من إرنست ألدريش سمبسون الذي التقته في لندن وذلك في ٢١ تموز/ يوليو ١٩٢٨.

في شتاء ١٩٣٠، وفي حفل أقامته اللايدي فورناس في دارتها، تعرف السيد والسيدة سمبسون بأمير ويلز للمرّة الأولى.

وقع أمير ويلز في الحب ثلاث مرات قبل أن يبلغ الأربعين. وفي كل مرة، كانت من يحب زوجة لرجل آخر. الأولى، كانت السيدة فريدا دادلي وارد زوجة النائب الليبرالي ويليم دادلي وارد. أثناء غارة جوية عام ١٩١٨، الجأت إلى أحد الملاجيء حيث دخل

بالصدفة أمير ويلز وهو في طريق العودة من فرنسا حيث كانت خدمته العسكرية. وقضت المصادفة أن تكون المرأة التي كانت واسطة التعارف أخت أرنست سمبسون. والثانية، كانت السيدة ثيلما، اللايدي فورنيس، وبقيت علاقتهما طوال سنتين حتى كانت ليلة الحفل تلك وقام الأمير بتوصيل آل سمبسون إلى منزلهم في العام ١٩٣١. وفي خريف عام ١٩٣٣، وعندما كانت ثيلما مسافرة إلى نيويورك، سألت صديقتها واليس سمبسون العناية بالأمير حين غيابها. حين عادت، كان الأمير متيماً بحب السيدة سمبسون، خصوصاً بعد أن سمع بأخبار علاقتها بالأمير علي خان.. وفي هذا الوقت أيضاً قطع علاقته بالسيدة فريدا دادلي وارد إذ وقع أكثر فأكثر تحت تأثير السيدة سمبسون.

المؤرخ الملكي فرانسيس لادي دونالدسون يكتب عن هذه الحقبة: «في غضون أسابيع قليلة اندلعت الفضائح والشائعات أكثر مما حصل خلال سنوات الأمير الأربعين. وحتى الآن، لاشك أن الأمير أضاف الكثير من اللمعان والوهج إلى التاج، والكثير من السحر للملكيّة، أكثر مما أضاع. ولذلك أمسى سيىء السلوك لا يأبه لآراء الغير ومشاعرهم ما أدى إلى هبوط رهيب في شعبيته».

اللايدي أوتولاين موريل وجه مشهور من وجوه لندن الاجتماعية في الثلاثينات خصوصاً عندما انتشرت أخبار الأسود التي تربيها في منزلها. وفي مذكراتها عام ١٩٣٦ كتبت عن حزنها المشترك مع صديقتها الروائية فرجينيا وولد. إذ لن يكونا مدعوتين إلى مائدة مارغوث اسكيت على شرف السيدة ويليس سيمبسون. فقد بررت مارغوت ذلك بالقول: «إنها لم تقرأ في كتاب طيلة حياتها».

وتضيف أوتولاين في مذكراتها: «تعيش بريطانيا ودول

في آب/أغسطس ١٩٣٤، دعا الأمير آل سمبسون لقضاء عطلة في قصره في بياريتز. اعتذر إرنست سمبسون لانشغاله بمواعيد عمل سابقة، فحضرت زوجته مع خالتها بيسي ميريمان كحارسة.

ومن بياريتز، أبحر الجميع على ظهر اليخت روزاورا في رحلة بحرية في المتوسط. تقول السيدة سمبسون فيما بعد إن هذه الرحلة شهدت تخطي علاقتها بالأمير حدود الصداقة إلى الحب العاصف. وبوصولهم إلى كان، أهدى إليها سواراً من الزمرد والماس ليكون الأول في سلسلة هدايا ثمينة قادمة.

تكررت العُطل والرحلات التي دعي إليها الزوجان سمبسون، تكرر حضور السيدة وحدها دون زوجها المرتبط بعمله.. وكبرت الفضيحة. وفي الوقت الذي كان يناقش فيه أرنست زواجه المشتت مع زوجته وخالتها السيدة مريمان، كان جورج الخامس يتداول الموضوع مع أسقف كانتربري الحزين كوسمولانغ. وفي حديث مع رئيس الوزراء ستانلي بولدوين، تنبأ الملك «بعد موتي، سيدمر هذا الولد نفسه في اثني عشر شهراً». توفي الملك في ٢٠ كانون الثاني/ يناير ١٩٣٦، وأمسى دايفيد الملك إدوارد الثامن. وبعد سنة، كان في طريقه إلى المنفى.

الكومنولث في رعب أن يقدم الملك على الزواج بالسيدة سيمبسون.. ليست سيئة لكنها من عامة الشعب».

وحين تدهورت أزمة التنحي عن العرش، كتبت ما سمعت عن التوتر والضغوط التي يعاني منها الملك: «يقال إنه أشرف على الجنون، وأنه يحقن نفسه بالأدوية ما يحوّله إلى حاد الطباع عنيف. لقد حبس نفسه في منورت بيلفدير مستسلماً للكحول، كما أنه وقع إعلانين عن التنحي ثم مزقهما..».

يؤكد بعض المراقبين، وبينهم اللورد لويس ماونتباتين، أن الأمير أراد دائماً التحدث مع والده عن زواجه بالسيدة سمبسون لكنه اصطدم مراراً بالنظامية المفرطة التي يتمسك بها والده وينادي بها دائماً. وما إن أصبح ملكاً، وجد نفسه حراً في اختيار الزوجة التي يريد، لكن العقبة الأهم كانت أنها تزوجت من قبل. فقد كان الطلاق موضوع جدال في بريطانيا، ونصّت القوانين الجديدة في انكلترا بمنع استئناف نافذ المفعول في وقت معين إلا إذا عُدل. فإن لم تظهر أدلّة على تواطؤ أو سوء إدارة، يمسي المرسوم مطلقاً وفاعلاً. وكانت فترة الأشهر الستة التي نصّ عليها هذا المرسوم مقصودة لقطع الطريق على تتويج السيدة سمبسون ملكة في وقت تتويجه هو في أيار ١٩٣٧.

كان الملك يتصرف وكأن زواجه بالسيدة سمبسون محتمٌ. ففي ٢٧ أيار/ مايو ١٩٣٦، دعا إلى عشاء خاص في قصر سانت جايمس. كان الضيوف آل ماونتباتن ورئيس الوزراء ستانلي بالدوين وزوجته آل واف كوبرز وآل سمبسون. وبعد سنوات، روت والي بعد أن أمست دوقة ويندسور أن الملك قال إنه دعا آل بولدوين حتى يتعرف رئيس الوزراء «بزوجته المستقبلية». ما يدل على أن تحضيرات طلاق والي من زوجها قد بدأت.

عندما غادر الملك بريطانيا، أمر القصر الملكي الصحافة أن تلتزم حدودها وأن تحترم خصوصيته كالعادة. لكن هذا لا ينطبق أبداً على الصحافتين الأميركية والأوروبية. لسوء الحظ لا يسع أحد إتهام الملك بالتحفظ، فهو استأجر يختاً كبيراً بطاقمه وانطلق من ميناء سيبينيك اليوغوسلافي على وقع هتافات الجماهير المحتشدة لتحيته، ترافقه مدمرتان من البحرية الملكية. حيثما ذهبا، كان الملك

والسيدة سمبسون محط أنظار الجميع وهدف آلات التصوير. وعند وصولهما إلى اسطنبول، احتفى بهما الدكتاتور التركي، كمال أتاتورك. احترمت الصحافة البريطانية عهدها ولم تشر أبداً إلى وجود السيدة سمبسون. لكن، كتب الكاتبان برايان ومورفي في التايمز «... عاد الملك إلى لندن خاسراً الكثير من صورته التي لا تقهر. فقد أنهكته صحافة العالم، وساءت سمعته في الادارة الملكية...»

وفي لندن، ظهر إسم السيدة سمبسون في التعميم على أنها ضيفة دار الملك في بالمورال. وفي المناسبة، لم يشعر أفراد العائلة المالكة وحدهم بالإهانة، بل عمّ هذا الشعور الشعب بكامله.

فقد طلب من الملك افتتاح مستشفى في ديسايد لكنه رفض إذ أن البلاط ما يزال في حداد على أبيه. وفي يوم الافتتاح، ناب أخوه دوق يورك عنه في هذه المهمة بينما ذهب هو إلى محطة القطارات في بالاتر لإستقبال السيدة سمبسون. أدى هذا التصرف غير اللائق إلى إستياء عارم بين الناس في ديسايد، وفي سكوتلاندا..

بعد عودة الملك إلى لندن من بالمورال، حددد ميعاداً لجلسة أولى في قضية طلاق سمبسون: ٢٧ تشرين أول/ أكتوبر. كانت الصحف الأميركية في هذا الوقت قد أبدت اهتمامها الهوسي بالقصة الملكية الرومانسية، وبدأت تجد طريقها إلى بريطانيا والمستعمرات. فأخذت رسائل غاضبة تصل إلى رؤوس الادارة في داويننغ ستريت وقصر لامبيث ووزارة الخارجية. خلف الكواليس، استمر الضغط من أجل وقف إجراءات الطلاق لكن الملك رفض الرضوخ أبداً، بل أكّد للسيد بولدوين أن الطلاق أمر خاص

بالسيدة سمبسون وأضاف «أخطىء إن أؤثر على السيدة سمبسون فقط لأنها.. صديقة».

وفي ١٢ تشرين الأول/١٩٣٦، اتصل اللورد بيفربروك، الكندي مالك مجموعة اكسبرس من الصحف النافذة، بمحامي السيدة سمبسون، ثيودور غودارد، وأخبره نيته نشر ورقته الدفاعية في صحيفة إيفييننغ ستاندارد. عندئذٍ، خابر غودارد اللورد بيفربروك شخصياً لينفي نيّة الملك الزواج بالسيدة سمبسون. وبعد أيام، دعا الملك اللورد بيفربروك إلى زيارته وسأله مساعدته في إيقاف الهجمات الإعلامية لأن السيدة سمبسون «مريضة ومنزعجة من سوء السمعة التي تلصق بها لأنها كانت ضيفته في اليخت «ناهلين» وفي «بالمورال».

قبل اللورد بيفربروك وتعاون مع مالك مجموعة «دايلي مايل» إسموند هارمسوث على إقناع الصحافة البريطانية بالدخول في صمت اختياري. وكتب بيفربروك فيما بعد: «حين كنت أنشط لتنظيم وتوليف الإعلام، ما علمت أن الملك ينوي الزواج من هذه المرأة. فهو لم يشر أبداً على مسمعي إلى هذا الأمر، وأكّد لي محامي السيدة سمبسون، السيد غودارد أن لا نيّة للملك في الزواج هذا. كان ذلك هو الضمانة التي أعطيتها لمالكي الصحف الأخرى، لأني صدّقته.»

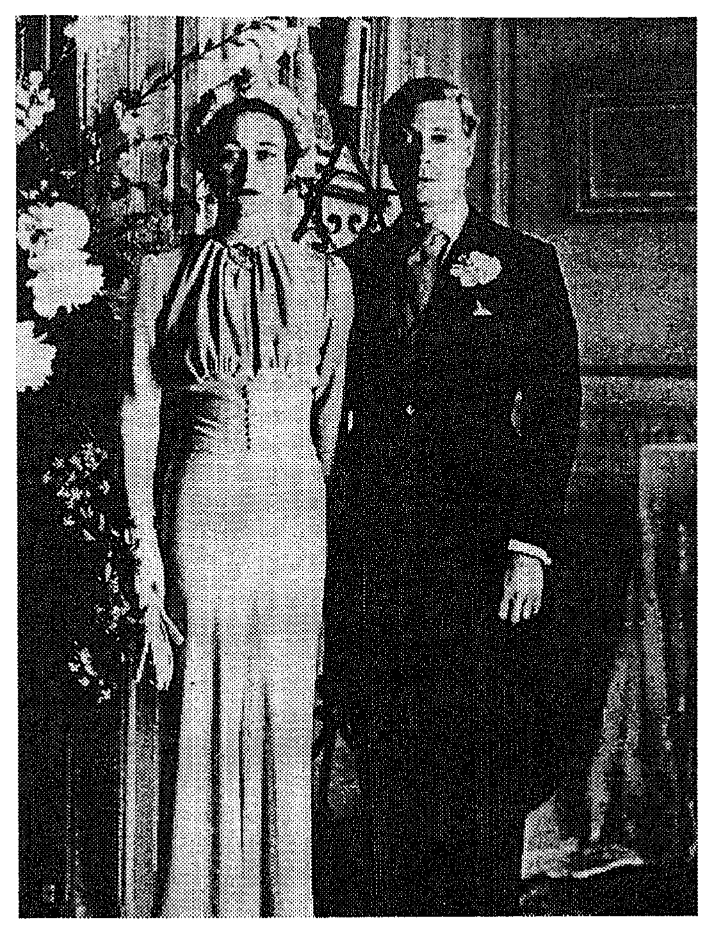
كان للملكة اليزابيث الأولى، المشهورة بلقب الملكة العذراء، عشاق عديدون أحدهم كان فرانسيس، دوق ألينكون الذي أصابه الجدري فأعاق نموّه وترك ندوباً كثيرة في جسده. وبنتيجة هذا المرض، انقسم أنفه إلى قسمين وتوجها في اتجاهين مختلفين. فقال أعداءه إن ذلك هو دليل على أنه بوجهين ولسانين، وثابرت الملكة على مناداته بلقب «ضفدعي الصغير».

أجازت محكمة إبسويتش الطلاق للسيدة سمبسون على قاعدة إرتكابه الزنا. منعت الصحافة من تصوير السيدة سمبسون سابقاً وهي تغادر مع محاميها، وتصعد في سيارة يقودها سائق الملك. وفي اليوم التالي، أوردت الصحف خبر الطلاق دون أي تعليق.

في ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر، عاد الملك إلى فورث بيلفيدير في لندن من زيارة إلى ساوثمبتون ليجد رسالة باردة ومهذبة من سكرتيره الخاص المايجور اليكساندر هاردينج يحذره فيها من قيام الصحف بكسر حاجز الصمت ويخبره أن رئيس الوزراء دعا إلى اجتماع خاص بحالة «الملك المتدهورة». وتحدث هاردينج في الرسالة عن استقالة الحكومة المحتملة وعن الضرر الذي تسببه معركة انتخابية مادتها الأولى حياة الملك الخاصة. وأنهى الرسالة: «إن سمحت لي جلالتك أن أقدم رأيي، فأنا أرى مخرجاً واحداً من هذه المحنة يجنبكم الأخطر وهو رحيل السيدة سمبسون سريعاً عن البلاد، وأرجو جلالتك أن تفكر جيداً في هذا الحل الأمثل قبل أن تتصاعد حدّة الأزمة فتصل نقطة اللارجوع».

إلتقى الملك برئيس الوزراء بولدوين الذي أخبره أن الحكومة لا توافق على زواجه من السيدة سمبسون. فأجاب الملك أنه اتخذ قراراً لن يعود عنه مشيراً إلى استعداده للتنحي عن العرش إن كان ذلك ثمن الزواج بها. تدخلت الملكة كوين وكتبت إلى إبنها: «لا أعتقد أنك تدري مقدار الصدمة التي أصيبت بها عائلتك وأمتك جراء هذا القرار.. فيبدو أن الذين قدموا التضحيات في الحرب يطلبون منك، أنت ملكهم، تضحية أصغر.»

عصفت المناقشات في مجلس العموم، وزاد من حدّتها النقد الموجّه إلى الحكومة الجادّة في إخفاء الحقيقة عن الشعب. وفي



دوق وندسور وزوجته الليدي سمبسون اثناء زفافهما سنة ١٩٣٧.

تشرين الأول/أكتوبر ١٩٣٦، وجّه النائب الإشتراكي إلين ويلكينسون سؤالاً رسمياً إلى السير والتر رانسيمان، رئيس لجنة التجارة عن تلك «الصحف والمجلات الأميركية المرموقة التي تصل إلى لندن بعد تمزيق ثلاث أو أربع صفحات منها؟ وما هو الأمر الممنوع من الوصول إلى الشعب البريطاني؟» فرد رانسيمان بلا مبالاة «لاعلاقة للجنتي بهذا الأمر...»

في اليوم التالي، وضع الملك مشاكله الخاصة جانباً وقام بجولته الشهيرة على المناطق المضطربة في روندا وسهول مونماوث جنوبي ويلز. احتشد العاطلون عن العمل، الذين لا يعرفون بأمر الأزمة الحاصلة، يلوحون له يهتفون بحياته. هاله ما رأى من فقرهم المدقع فأعلن بعطف جزيل أن «أمراً يجب أن يحدث.»

كان كل من يعي خطورة الأزمة القادمة بسرعة يريد بقاء الملك، لكن يجب بذل الغالي والرخيص لمنع السيدة سمبسون من الوصول إلى عرش بريطانيا. لم يكن محور رفضهم كونها من عامة الشعب بل أصروا على رفضها لأنها سبق لها الزواج والطلاق مرتين، وكلا الزوجين على قيد الحياة حتى من يوافق الملك في رأيه بالزواج ممن يريد يقول إنه كان ممكناً أن لا يعارض الادارة الآن بل يسعى إلى تتويجه أولاً ثم، عندما تحوز السيدة سمبسون رضى العامة، يمكنه رفع هذه المسألة إلى المستوى التي هي فيه اليوم. رفض الملك هذا الأمر مؤكداً عدم رغبته في التتوج والكذبة عالقة في فمه. بدل ذلك، رضي أن يكون زواجه مورغاناطي (Morganatie) أي أن تصبح السيدة سمبسون زوجته لكن بمنصب أقل من ملكة، دوقة مثلاً، مع التأكد أن أولادهما لا يدخلون خط الخلافة الملكية.

حاول بولدوين ثانية ردّ الملك إلى رشده مشيراً أنه يجب عرض مسألة الزواج المورغاناطي على الحكومة في الداخل وعلى حكومات دول الكومونويلث الخاضعة للعرش البريطاني. ثم سأله إنْ كانت هذه رغبته.. رد الملك بالإيجاب، وبدا أن التنحي يقترب من الحصول.

نصح اللورد بيفربروك الملك سحب اقتراحه فوراً، لأن تعارض

الملك والوزراء سيؤدي حتماً إلى تحقق نبوءات هاردينج. لكن عندما أعلمه الملك أن «السيدة سمبسون تفضل الزواج المورغاناطي» تأكد له أن الملك خسر المعركة.

تلقى بولدوين، الذي اتهم فيما بعد بتحريف الرسائل التي أرسلها إلى حكومات دول الكومونويلث، الجواب الذي توقّعه. فأي إجابة لم تكن في صالح الزواج المورغاناطي. وتأكد له أن البرلمان البريطاني يعارض أيضاً هذا الزواج بعد حديث أجراه مع زعيم المعارضة كليمينت أتلي.

بقي صمت الصحف مخيماً حتى خطب أسقف برادفورد الدكتور ألفريد بلانت في محاضرة أبرشية متحدثاً عن الطبيعة الدينية لعملية التتويج قائلاً: «أن يفيد الملك من هبة تتويجه متعلق بأمرين أولهما بالإيمان والصلاة والتسليم الكامل للرب. وهنا لا يسعني إلا الطلب إليه وسؤال الآخرين كي يعززوا طلبي للإقبال على رحمة الله التي سيعوزها كثيراً لأنه بشر كغيره وإذا كان سيقوم بواجبه على أكمل وجه. نأمل أن يعي حاجته هذه..»

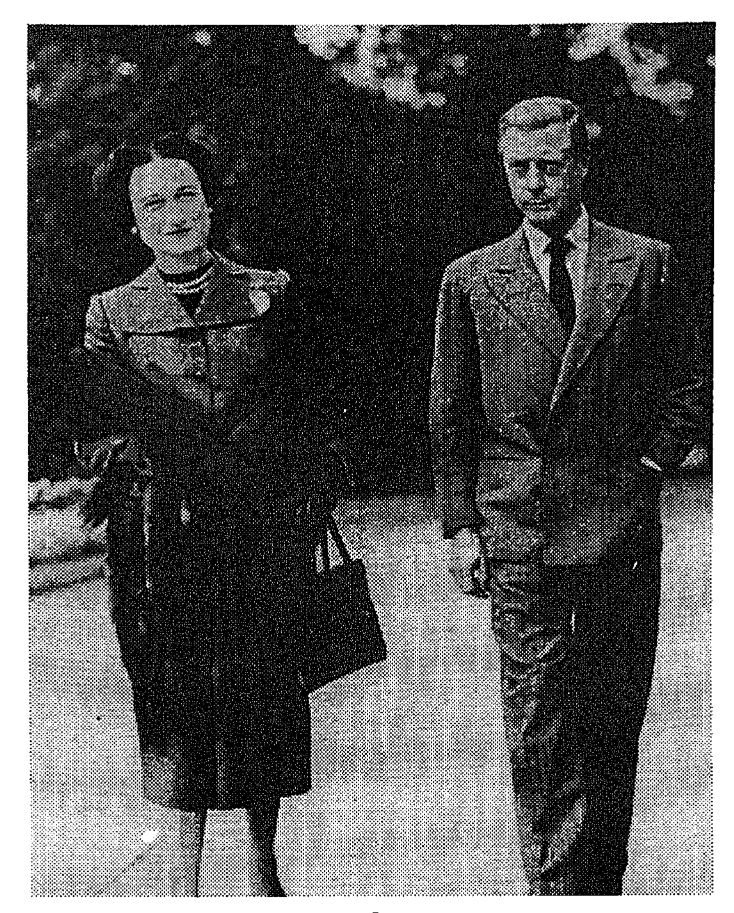
برغم إصرار الدكتور بلانت لاحقاً على عدم معرفته بقضية السيدة سمبسون آنذاك، لم تصدقه الصحف، بل شدّدت على خطابه مؤكدة أن لدى بلانت أسباباً وجيهة دفعته إلى هذا الكلام. ونشرت صحيفة «يوركشاير بوست» واسعة الانتشار: «يعي معظم الشعب الآن ان شائعات كثيرة تنال من حياة الملك الخاصة نشرت في صحف أميركية مثيرة... لكن المقالات التي ظهرت في صحف أميركية مرموقة وصحف أخرى صادرة في دول الكومونويلث تحتاج إلى معاملة مختلفة... فهي تعتمد على حقائق محددة..»

في اليوم نفسه رفضت الحكومة البريطانية في لندن اقتراح الملك

عن الزواج المورغاناطي. ومساءً، التقى بولدوين الملك لبحث المسألة، وطلب منه بإصرار عدم التنحي، لكنه أطلعه على خياراته الثلاثة: التخلي عن فكرة الزواج من السيدة سمبسون أو الإقدام على هذا الزواج زاجاً البلاد في أزمة دستورية.. أو، التنحيَ عن العرش والزواج كما يحلو له. وبينما كان الملك يفكر في حاله وفي القرار الذي سيتخذ، انضمّت الصحافة إلى المسألة. وخلال الأسبوع الحاسم، تناقضت ردات فعل الصحف، لكن عارضت غالبيتها زواج الملك. إنجرح كبرياء الملك بالنقد الصحفي اللاذع وخاف على سلامة السيدة سمبسون فدبّر رحيلها عن البلاد إلى جنوب فرنسا يرافقها وصيفه اللورد برون لو وحارسه الخاص.

قبل مغادرتها، اقترحت السيدة سمبسون على الملك التماثل مع الرئاسة الأميركية التي تعتمد الإستفتاء الشعبي المباشر. تحمّس الملك لهذه الفكرة لكن بولدوين أشار إلى أن هذا الأمر معارض للدستور. فأجاب الملك حينها: «تريدني أن أرحل أليس كذلك؟! لكن قبل الرحيل، اعتقد أنه من الأفضل أن أتكلم». فقال بولدوين: «ماأريد يا سيدي هو ما قلت لي انك تريده: الرحيل بكبرياء، لا السعي إلى انقسام البلد، وتسهيل وصول خلف لك إلى العرش.

بعد وقت قصير، غادر الملك قصر باكينغهام إلى فورت بيلفيدير، فبدأت الجماهير تحتشد أمام أبواب القصر وأمام ١٠ داوييننغ ستريت منقسمة بين مؤيد ومعارض. اتصلت السيدة سمبسون من فرنسا داعية الملك للجهاد من أجل حقوقه لكن ذلك ذهب سدى. وفي صباح الخامس من كانون الأول/ ديسمبر، أرسل صديقه ومستشاره والتر مونكتون إلى ١٠ داوييننغ ستريت لإعلام بولدوين بنيّة الملك في التنحي رسمياً.



دوق ودوقة وندسور

[لم تؤدِّ المحاولات الكثيرة إلى تغيير قرار الملك. في كان، مرّرت السيدة سمبسون للصحف التصريح التالي: «خلال الأسابيع الماضية، أملت السيدة سمبسون تجنّب أي فعل يمكن أن يؤذي جلالة الملك والعرش. ويبقى هذا موقفها حتى اليوم وتعلن استعدادها الكامل للتراجع نهائياً عن المسألة التي أمست مشكلة يعصى حلّها».

وعندما بلغ الملك ما قالت، علّق: «لتفعل إن أرادت، لكن ذلك لا يبدل في الأمر شيئاً». وأسرع ثيودور غودارد إلى موكلته في كان ثم أرسل برقية إلى رئيس الوزراء هذا نصها: «تناقشت والسيدة سمبسون حول المسألة برمّتها، فأكّدت لي أنها ما تزال مستعدّة لسحب طلبها لنيل الطلاق ولبذل كل جهدها من أجل منع الملك من التنحي»، موقعة من السيد غودارد وبشهادة اللورد برون لو.

أعادت الحكومة عرض الموضوع على الملك لكن هذا رفض الرجوع عن قراره مؤكداً أنه فكر ملياً في هذا الأمر، وما يطلبه هو تنظيم تمويله مستقبلياً والنظر في مرتبته. ويوم الخميس، ١٠ كانون الأول/ ديسمبر، وقّع على طلب التنحي: «أنا، إدوارد الثامن ملك بريطانيا العظمى وإرلندا والمستعمرات خلف البحار والهند، أعلن قراري النهائي بالتخلي عن العرش، أنا وأولادي». وشهد على هذا التعهد الأخوة ألبيرت (يورك) وهنري (غلوكيسستير) وجورج (كنت).

وفي ١١ كانون الأول/ديسمبر أبحر إلى منفاه. الآن، أصبح بإمكانه التوجه إلى رعيته دون أن ينال موافقة الحكومة المسبقة، لكنه أرسل نسخة من خطابه إلى رئاسة الحكومة ليؤكد نبله ولباقته.

قدّمه السير جورج ريث مدير هيئة الإذاعة البريطانية بعبارة «صاحب السمو الملكي الأمير إدوارد» حسب أوامر الملك الجديد جورج السادس. كانخطاباً مؤثراً سُمع حيث تسود اللغة الإنكليزية:

«تعرفون جميعاً الأسباب التي دفعتني إلى التخلي عن العرش.

لكنني أريدكم أن تتأكدوا أني، خلال تفكري في قراري، ما نسيت البلاد أو الأمبراطورية التي خدمت خلال خمس وعشرين سنة حين كنت أميراً على ويلز أو ملكاً. لكن صدقوني عندما أقول إني أجدني عاجزاً عن تحمّل مسؤوليات الحكم دون مساعدة ودعم المرأة التي أحب».

في نيويورك، أوقف سائقو سيارات الأجرة سياراتهم ليستمعوا إلى الخطاب. بكى الشعب في كل البلاد الناطقة بالإنكليزية لسبعين ثانية.. فهذا لم يحدث من قبل.

٩

فضيحة أمن قصر باكنغهام

انتشرت حوادث البيوت بالخلع والكسر في لندن حتى إذا ما ظهرت حادثة واحدة في الصحف استهجن الناس. لكن واحدة من هذه الحوادث أدّت إلى غضب عارم وإلى استجوابات في مجلس العموم انتجت دعوات لاستقالة رئيس الشرطة ووزير الداخلية. والغرابة في الأمر أن سبب هذه العاصفة لم يكن لصاً أو جاسوساً بل عاملاً عاطلاً عن العمل حاول تقديم خدمة للملكة أليزابيت.

كان ذلك في العام ١٩٨٢ عندما تسلل مايكل فاغان مرّتين إلى داخل قصر باكينغهام في شهري حزيران/ يونيو وتموز/ يوليو، وكان استطاع الخروج منه سليماً في كلتا المحاولتين، غير أنه شعر أن واجبه يحتم عليه تنبيه جلالة الملكة إلى الثغرات في أمن قصرها.

لاحقاً، اعترف فاغان أنه لاحظ «ليونة» في إجراءات أمن القصر بينما كان يتجول وولدين فيه خلال رحلة للتعرف على أرجائه. وانزعج كثيراً عندما أدرك أن العائلة المالكة التي يحب ويحترم

معرضة للخطر، فقرر التسلل إلى القصر لأنه أراد «إقناع الجميع أن الملكة غير آمنة».

لا بد أن فاغان تأثر بخبر الألمان الغربيين الثلاثة الذين وجدوا في خيمةٍ، صيف ١٩٨١، داخل حرم القصر. وعندما قامت الشرطة باستجوابهم قالوا إنهم وصلوا لندن في الظلام وتسلقوا الحاجز الحديدي ظناً منهم أنهم يدخلون إلى منتزه عام.

في ليلة السابع من حزيران/يونيو ١٩٨٢، تسلق فاغان السور الحديدي ووصل إلى قاعة السفراء. ثم تسلّق ماسورة المياه إلى السطح حيث وقف ينظر إلى النافذة مضاءة، فرأى الوصيفة ساراه جاين كارتر تقرأ في فراشها.. صادف أن رفعت نظرها ألى أعلى لترى فاغان لكنه اختفى فجأة.. طلبت الوصيفة الأمن، لكن الحراس قرروا ألاّ يتحققوا من الأمر. وبعد أنتسلق خمسين قدماً، وصل إلى سطح مسطح قريب من الجناح الملكي، ففتح نافذة ودخل منها. وخلال نصف ساعة، كان يدور في الجناح مجتازاً أشعة ما تحت الحمراء المفروض أن تكون الإنذار.. لكن أجهزة الإنذار كانت كلها معطّلة. وخلال تجواله، توقف لينظر بإعجاب

كان مايكل هولرويد مدعواً إلى مأدبة رسمية يشارك فيها أفراد من العائلة المالكة. فكان مجلسه مقابل لسيدة مميزة بدأت تُظهر مقدرتها في تقليد اللهجات. فقامت أولاً بتقديم لهجة يوركشير فصفق لها معجباً بها، ثم انتقلت إلى اللكنة الإيرلندية فشاركها فرحاً. وأخيراً قدمت لهجة مميزة فأخذ يصفق دون توقف، ويضحك مهنئاً قائلاً: «هذه الأخيرة رائعة فعلاً.. إنها لهجة مقلدة بالفعل». صمت كل من كان على الطاولة وحدقت فيه السيدة التي كانت الملكة نفسها، فهي كانت تتكلم بلهجتها الحقيقية.

إلى الصور واللوحات الفنية ثم استراح على العرش. ثم انتقل ليلقي نظرة إلى غرف النوم الملكية. أما في المطبخ الصغير، فقد جلس يشرب النبيذ منتظراً القبض عليه. وعندما شرب نصف الزجاجة، تأكد له أن أحداً لم ينتبه لدخوله وقرر المغادرة من طريق دخوله.

وبعد شهر، في ليلة التاسع من تموز/يوليو ١٩٨٢، تناول الكثير من الويسكي وقرر أن يكرر المحاولة. دخل القصر دون صعوبات، لكن في هذه المرة كان تعباً وثملاً، فكسر منفضة ملكية وجرح يده، ثم دخل إلى غرفة نوم الملكة.

استيقظت الملكة لتجد مايكل فاغان جالساً على حافة السرير يداوي جرح يده. كلّمته حتى تهدىء من روعه ودست يدها إلى جرس الإنذار، لكن هذا كان موصولاً خطأ فما دقّ. وعندما أدركت أن أحداً لن يأتي لنجدتها، فتجرأت وتناولت سماعة الهاتف.. بدا أن ذلك لم يزعج فاغان أبداً. فطلبت أن يصلها عامل الهاتف بجهاز الأمن. لسوء الحظ، كانت دورية الليل قد انتهت، فلا حارس ولا خادم ولا وصيفة. حافظت الملكة على رباطة جأشها واستمرت تحادث هذا الدخيل.

طلب فاغان لفافة تبغ، فأجابت الملكة أنها لا تدخّن وأنها ستخرج لتجد له سجائر خارج الغرفة. في هذا الوقت، عاد الخادم بول وايبروو من تنزيه الكلاب ودخل ليلقي القبض على فاغان. أصرّ هذا على أنه يريد فقط التحدث مع الملكة. وعندما أشار وايبروو على ضرورة ترك الملكة لترتدي ثيابها، وافق فاغان وخرج ينتظر في الخارج... حتى وصلت الشرطة واعتقلته.

برغم إعتراف مايكل فاغان بدخوله إلى القصر مرتين، واجهت الشرطة والادارة الملكية مشكلة صعبة. إن القانون الإنكليزي لا

يعتبر اقتحام البيوت جناية إلا إذا حصل بنيّة اقتراف جريمة. حوكم فاغان بتهمة سرقة نصف زجاجة نبيذ يملكها أمير وأميرة ويلز...

حصلت ابان المحاكمة بعض الحوادث المضحكة. فعندما سألته المدعية العامة بارباره ميلز فاغان «لم يكن ذلك شرابك» أجاب: «لم يكن قصري أيضاً». وعندما أصرّت عدم أحقيّته بشرب النبيذ، قال: «حسناً، لقد اجتهدت كثيراً في إخبار الملكة كيف يخترق أمنها.. لقد كانت محظوظة لأني مخلص للمصلحة العامة.. أعني، ممكن أن يكون مكاني مغتصب أو مجرم».

إزاء كل ذلك، وبعد أن اعترف فاغان بذنبه، أمرت المحكمة بوضعه في مصحّة عقلية محروسة جداً. وفي كانون الثاني/يناير من العام التالي، أطلق سراحه بعد أن أجمع الأطباء أنه لا يشكل خطورة على المصلحة العامة.

١٠

الأعوام الرهيبة

(الأمير شارلز، اللايدي ديانا وفضائح ملكية أخرى)

شاهد ٧٥٠ مليون إنسان حفل زفاف الأمير شارلز واللايدي ديانا سبنسر في ٢٩ تموز/يوليو ١٩٨١. وقامت الصحف البريطانية بإشباع فضول الشعب بقصص يومية، وتنافست فيما بينها بالتسابق إلى نشر صور للعروسين خاصة أو أخبار شخصية إستقوها من الأصدقاء المقربين من الأمير واللايدي. وابتسمت ديانا أمام آلات تصوير المجلات لتتصدر صورها الغلاف في كل أنحاء البلاد.

اختلط فرح الشعب بشعور من الإرتياح إزاء الزفاف الملكي. فخلال السبعينات، اتصل اسم الأمير شارلز إعلامياً بأسماء عديدة أمثال دافينا شيفيلد وأميرة لوكسومبورغ ماري - أستريد وسوزان جورج وسابرينا غينيس وأماندا كاتشبول وأنا والاس وجاين وارد. وكانت شائعات الصحف عن زواج ملكي سيحصل تُرد خائبة حين تعلن «مصادر» مقربة إلى الأمير إنتهاء العلاقة أو أنها غير موجودة أصلاً.



الأمير شارلز وزوجته السابقة الأميرة ديانا أثناء زفافهما ١٩٨١

حين أعلنت خطبته لديانا في ٢٨ شباط/فبراير ١٩٨١، أشار المراقبون الملكيون إلى صواب اختياره الذي أكد سموّ ذوق سمّوه. فالخطيبة جذابة، خجولة أمام آلات التصوير، وقادمة من خلفية صحيحة.

كانت ديانا الإبنة الثالثة لإيرل سبنسر، لكنها لم تتابع تعليمها لتنال شهادة جامعية بل درست فن الطبخ وعملت في مجال التربية

عند الأطفال، وكأنها كانت تعلم أنها ستصبح وريثة للعرش البريطاني.

ما لم يدركه أحد أن الأمير شارلز نفسه لم يكن في غاية السعادة لزواجه من ديانا سبنسر، إذ هو خضع لضغوط العائلة المالكة وفي مقدمتها أبوه وأمه الملكة التي اختارت بنفسها عروسة إبنها سعياً وراء الإستقرار وتأمين وريث للعرش بعده.

أمّا ديانا، فلم تكن بالأصل سعيدة في حياتها. فعندما بلغت الثالثة، تطلق والدها ووالدتها بعد أن أغرمت هذه الأخيرة برجل آخر. فرباها أبوها وحاول العناية بها، لكن الطلاق أثّر فيها كثيراً، وأخذت تميل إلى العناية بالحيوانات المريضة، وإلى الإفراط في تناول الطعام، فسمنت وقلّت جاذبيتها.

في مراهقتها، عملت في إحدى دور حضانة الأطفال في بيمليكو، وسكنت في منزل مشترك مع ثلاثة من الأصدقاء الذين يؤكدون ابتعادها عن العلاقات الجنسية برغم مصادقتها للشبان. لربما يعود ذلك إلى خوفها من الجنس الذي كان عامل التفريق بين والديها.

من ناحية أخرى، اجتاز شارلز ثلاث علاقات جنسية في العام الذي سبق إعلان خطبته. فمنذ منتصف السبعينات، دعيت نساء عديدات لتناول العشاء في جناحه في قصر باكنغهام وأمضين الليلة عنده. لاحقاً، أخبر خادم الأمير الخصوصي، ستيفن باري، أحد كتّاب النقد الصحفي كيف كان يلتقط صباحاً أثواب النساء الداخلية من تحت السرير أو من خلف الوسادة. إن عرفت صاحبتها، أعيدت إليها في صندوق للهدايا بعد غسلها. وإن لم تعرف، قدّمت إلى بعض موظفي القصر الذكور. ويلاحظ الكاتب

الساحر نفسه أن معظم موظفي القصر من الشاذين إذ ليس لهؤلاء زوجات يضطرون لتقسيم ولائهم من أجلهن. ونُقل عن الأمير أندرو أن أخاه يحاول تقليد الممثل وارن بيتي الذي ذاع صيته في أنه ضاجع كل نجمة جذابة في هوليود. أما الناقد الساحر نايجل ديمبستير فيلمح إلى أن الأمير كان يدفع شيكات بمئات آلاف الدولارات للنساء اللواتي يرفضن أن يكن خليلاته لليلة واحدة.

ودخل شارلز في علاقة قصيرة مع أخت ديانا، ساراه، لكن هذه أصرّت أن علاقتهما بقيت أفلاطونية، وخلص الجميع إلى الإعتقاد أن هذه العلاقة كانت بداية هيام ديانا بشارلز، فمعظم الفتيات يتعلقن بأصدقاء أخواتهن الكبيرات. المشكلة الوحيدة كمنت في كون الأمير أكبر من اللايدي دي بعشر سنوات.

اتجهت كل الأنظار إلى كاتدرائية القديس بولس يوم ٢٩ تموز/ يوليو ١٩٨١. وفي الشوارع المحيطة، لم يجد الناس حرجاً في البكاء فرحاً بملكهم وملكتهم المستقبليين. وعندما قبلا بعضهما على شرفة قصر باكينغهام بعد الحفل، هتف المحتشدون يحيونهما. كانت الأمة فخورة برغم تدهور الوضع الإقتصادي في البلاد وتقهقر أهمية بريطانيا في سلّم الأقوياء في العالم.

بعد انتهاء هذا الحفل الكبير، وجدت الصحف التي جدّت لأسابيع في نشر القصص الوطنية، قديمها وجديدها، والصور المستنبطة من الذاكرة، وفي إذكاء نار الحماسة الوطنية في الشعب، وجدت صعوبة في نسيان/ أبريل كل ذلك والعودة إلى الأخبار المثيرة لشعور الكآبة. حتى لو أرادت لاستحال عليها ذلك. فالصحيفة التي تتصدرها صور ديانا تُباع سريعاً بخلاف التي لا تنشر صورة العروس فاتنة الشعب، حتى وصل الأمر إلى نسيان

الأمير شارلز وأخباره إذ انكب الصحفيون على الكتابة عن ملكة بريطانيا القادمة.

شيئاً فشيئاً، وقعت الصحف في فخ التكرار. وبرغم إقبال الناس على أخبار العائلة المالكة، ألا أن الشهية لمزيد من القصص المكررة حول الزوجين خفّت؛ فما كان من محرري الصحف هذه إلاّ التحول إلى موضوع أكثر إثارة: صحة الأميرة ديانا. فأشاروا إلى أنها كانت، حين إعلان ارتباطها بالأمير متوردة الوجه مفعمة بالصحة والحيوية. أما حين الزفاف، فكانت خسرت بعض الوزن وخفّ تورّد وجنتيها. لا شك أنها خفضت كميات الطعام من أجل اليوم الموعود.. لكن هل بالغت في ذلك؟!

وعندما انخفض وزن الأميرة أكثر خلال شهور الزواج الأولى، أبدت الصحافة قلقها وكأنها مربية ديانا أو عمتها العذراء. تسابق الناس على شراء الصحف المهتمة بصحة الأميرة خصوصاً، بعد أن أعلن القصر الملكي في ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨١ أن ديانا حامل. اعتبر المحررون هذا الحدث مبرراً منطقياً لاستئناف حفل «الكتابة والعناية» من جديد.

في شباط/فبراير في شهر حمل الأميرة الخامس، ذهبت وزوجها الأمير إلى جزر الباهاماس لقضاء عطلة هناك. خرق الصحفيون التقليد القاضي بالمحافظة على خصوصيات أهل القصر أثناء العطل، والتقطوا بعض الصور لديانا بثوب السباحة، فأظهرت هذه الصور أنها ما تزال تحتاج إلى زيادة الوزن برغم حملها.

ثارت ثائرة القصر عند نشر هذه الصور، وأعلن المتحدث باسمه أن هذه «أيام سوداء في تاريخ الصحافة البريطانية». إلى ذلك، خرق الصحفيون أيضاً العرف السائد منذ أيام الملكة فيكتوريا الذي



كاميلا باركر

يحتم على مراسلي الصحف مناداة الأمير ب«سير» ومعاملته باحترام بالغ. استمروا في مناداته بلقب سير لكن الاحترام تبخّر. فاعتراف الأمير بمحادثة مزروعاته ليشجعها على النمو السريع استحوذ على صفحات كثيرة من التعليقات السفيهة.

في كل مرّة خرج الزوجان من القصر، اضطرا لمواجهة محاكمة من خلال آلات التصوير. فكان المراسلون والمحررون ينسجون

القصص ويستعرضون مواهبهم التحليلية حول تعابير وجهي الملك والملكة. كما كان عليهما التحسب لآلات التصوير ذات المدى البعيد. إلى ذلك، كان أقل تماس بين الأمير وامرأة ما من المتحلقات حوله موضوع تحليل لا ينتهي.

في سنة زواجهما الرابعة، ارتاح الأمير واللايدي قليلاً إذ توجهت أنظار الصحف بإتجاه الأمير أندرو المتنقل من إمرأة إلى أخرى حتى احتدت فضائحه بأخبار علاقته الخاطفة بإحدى الممثلات في الأفلام الإباحية.

في العام ١٩٨٥، كان أندرو بلغ الخامسة والعشرين، السن التي يتوجب عليه حينها التفكير في الزواج. وفي إحدى الحفلات في قصر ويندسور، فوجىء المدعوون بالأمير يعدّ «اللقمات» للصهباء الجالسة بجانبه.. إنها سارة فيرغيسون إبنة المايجور رونالد فيرغيسون، مدير فريق الأمير شارلز في لعبة البولو. فتولت الصحف ملاحقتها ونشر كل المعلومات والقصص المنسوجة حول لقاءاتهما المتعددة والعلنية.

لاقت فيرغي قبولاً في القصر وأعلنت خطوبتهما في شباط ١٩٨٦، فلم يفاجأ بها أحد. ثم عقد القران في تموز/يوليو في دير ويستمينيستير، فتحمس له الناس كما فعلوا لزفاف أخيه، برغم أن زواجه كان أقل شأناً من زواج ولي العهد أمير ويلز. كما أن فيرغي لا تصل أبداً إلى مستوى ديانا. فاللايدي دي خجولة ورزينة، بينما فيرغي انفعالية ولعوبة.

نال أندرو لقب دوق يورك، وكانت هدية والدته أراضي شاسعة في ساينغيهل ومالاً لبناء بيته الزوجي هناك.

بمرور الزمن، خفتت الإيجابية في أطنان المقالات التي كتبت

وتكتب حول الأميرين وزوجتيهما. فدوقة يورك أمضت وقتها في عطلة مستمرة إذ تعود إلى بيتها من رحلات التزلج أو السباحة مرّة في الأسبوع. فشكك الشعب البريطاني أنها قادرة على العيش بهذه الرفاهية بفضل الضرائب المفروضة عليه.

كان الأسوأ من كل ذلك، من وجهة نظر العائلة المالكة، أن الأمور بين شارلز وديانا لم تكن على ما يرام. فقد لوحظ أنهما يمضيان معاً وقتاً قليلاً جداً، ويتكلفان الابتسامات والأحاديث عند ظهورهما أمام الناس وعدسات المصورين. وفي نهاية الثمانينات، انشغلت الصحف والمجلات في بث الشكوك حول متانة الزواجين، مشيرة إلى العلاقة الغرامية بين شارلز وكاميلا باركر ـ بوولز التي كانت في يوم من الأيام حبيبته، والتي تزوجت قبل زواجه، وملمحة إلى خيانة سارة فيرغيسون لزوجها مع المليونير الأميركي ستيف وايت. لكن دليلاً دامغاً على الواقعتين لم يقدّم أبداً من قبل القصر أو مصادر الأمير. لكن كان جلياً أن الصحف تعرف أكثر مما نشرت ولمّحت هذه أنها لن تنطق بكل الحقيقة.

ساءت الأمور في بيت دوق يورك في كانون الثاني/يناير ١٩٩٢ عندما اكتشفت إحدى العاملات، موريس ماربل، أثناء تنظيف أحد المنازل بعد أن تركه ساكنه القديم، صوراً لساراه فيرغيسون وابنتها بياتريس مع رجل مجهول بأثواب السباحة. توجه السيد ماربل بالصور إلى صحيفة دايلي مايل، لكن المحررين هناك نصحوه بالتوجه إلى الشرطة. لا نعرف إن كان فعل، لكن بعض هذه الصور نشر في مجلة باري ـ ماتش.

الحقيقة أن أصدقاء فيرغي يعرفون بعلاقتها والمليونير ستيف وايت منذ زمن طويل. فهي التقته في العام ١٩٩٠ حين كانت

حاملاً. وفي أحد مطاعم الريفيرا الفرنسية، بحضور فيرغو ووزير النفط العراقي، أحرج وايت اللورد ماكبلين وضيوفه عندما شد فيرغي إلى جانبه قائلاً، «أنا وامرأتي نجلس سوياً». بعد هذه الحادثة، رضخت فيرغي لرغبة أمها والملكة بالتوقف عن رؤية هذا المليونير. وعندما انكشفت فضيحة الصور عام ١٩٩٢، كانت علاقتها بوايت قد انتهت منذ مدّة.

في ١٩ آذار/مارس، أعلن دوق ودوقة يورك نيتهما في الانفصال. كان ذلك اعترافاً كاملاً للشعب بإقتراف فيرغي الزنا. وقبل أن تسكت الصحف عن الكلام «المباح»، خرجت الصانداي تايمز صباح ٧ حزيران/يونيو ١٩٩٢ بالعنوان الفضائحي التالي: «ديانا تحاول الانتحار خمس مرات.. والسبب «شارلز اللامبالي»». وتحت العنوان قصة تحتوي على مقاطع مهمة من كتاب «ديانا: القصة الحقيقية» للكاتب الصحفي أندرو مورتون. وتكمن أهمية هذا الكتاب في أن ديانا شاركت فعلياً في نصه.

يروي الكتاب أن ديانا كانت مترددة في الزواج من شارلز منذ البداية. فهو صديق كاميلا منذ عام ١٩٧٢، أي قبل أن تتزوج من أندرو باركر بوولز. لم تشك ديانا في بادىء الأمر، وبقيت لا تشكك، عندما زارتهم وأظهرت ارتياحها لعدم مرافقة ديانا لهما في رحلة الصيد في هايغروف. لكن في الاسابيع التي سبقت الزواج، عرفت انهما يناديان بعضهما بفريد وغلاديس رفعاً للتكلّف. وعندما علمت أن زوجها العتيد أهدى كاميلا سواراً ذهبياً عليه حرفا ف.و.غ، أدركت أنها عشيقته، وأنها ستبقى كذلك بعد زواجهما. شارفت على إلغاء الزواج في الليلة التي سبقت الحفل لكنها قررت في اللحظة الأخيرة: ألاّ تفعل.

وحين وقعت صور كاميلا من حافظة نقوده خلال شهر العسل، تأكدت لها شكوكها... فاكتأبت. فمنذ طلاق والديها وهي تخاف الحب، لكنها كانت مستعدة لتعليق عدم ثقتها وللتحوّل إلى زوجة وأم حنون ومتلهفة. أدركت أنها ستضطر إلى غض نظرها عن خيانات زوجها.

قضيا شهر العسل على اليخت الملكي، بريطانيا، لكنها فوجئت به لا مبالياً، يأخذ عدة الصيد وبعض الكتب فينأى عنها. فما كان منها إلا الإسراع إلى المطبخ والتهام أطباق المثلجات، الواحد بعد الآخر... ثم تقيؤها.

كان الأمير يعتقد أنها ستسعد كأميرة لويلز ثم ملكة، لكنه صدم عندما علم بمشاكلها العصبية. واعتقدت هي أنها تتزوج من رجل يشبه أباها سيساعدها على تنظيم حياتها الجديدة. لكن بدا يعيش على كوكب آخر. غير ذلك، كانت مشكلتها الرئيسة شكوكها بأن زوجها ما يزال مغرماً بكاميلا باركير - بوولز وعازماً على تجديد علاقته بها في أول فرصة سانحة. فبدأا يتشاجران حول كاميلا، وبدأ زواجهما يتقهقر وينهار يوماً بعد يوم. كل ما احتاجه كان تأكيداً من زوجها أن كل شيء سيكون على ما يرام، لكنه لم يكن مستعداً لمنحها هذا التأكيد إذ اعتقد أن عليها تمالك أعصابها وعدم التصرف كفتيات المدارس.

يروي جون أوبري في كتابه «حيوان قصير» هذه الطرفة عن بلاط الملكة اليزابيث الأولى: «كان إيرل أوكسفورد يقدم تحيته واحترامه للملكة اليزابيث فخرج منه بعض الهواء. خجل وسافر سبع سنوات. وعندما عاد إلى بيته رحّبت به الملكة وقالت: «يا سيدي، لقد نسيت ما حصل!».

في ليلة رأس السنة، ١٩٨٢، كانت في شهر حملها الثالث بالأمير ويليم عندما هددت بالانتحار، فاتهمها شارلز بالهستيريا.. وعندما خرج من المنزل، قذفت بنفسها على الدرج الخشبي.

كانت الملكة الأم، مهندسة هذا الزواج، من وجدها تئن في أسفل السلّم وترتجف. أكد الأطباء حينها أن ديانا والجنين بخير. لم يهتم شارلز للأمر، فانتهى، بشكل ما، زواجهما عند ذلك.

اللايدي كولين كامبيل، في كتابها (Diana in Private)، تؤكد أن العائلة المالكة أبقت الليدي على مسافة منها، واعتبرتها دخيلاً، ونبذها أفراد هذه العائلة وأبوا إشراكها في أحاديثهم العامة والخاصة.

بدا لشارلز أن زواجه الاسطوري تحول إلى جهنم. فالفتاة الطيبة التي يفترض بها أن تهيم به وأن تسعد لأنه قدّمها إلى عالم جديد رائع تحولت إلى عصبية تقضي وقتها باكية مشتكية. لكم تمنى لو جرؤ وتزوج من كاميلا التي تفهمه جيداً!!

تحسّن الوضع قليلاً بولادة الأمير ويليم. فقد أحب شارلز أن يكون أباً وأدى مهامه على أكمل وجه.. ثم تخلى عن الأمر فجأة، فعادت دايانا إلى كآبتها. ابتدأت تزور طبيباً نفسياً لكنها استمرت في خسارة وزنها.

استمر شارلز في زيارة كاميلا ولقائها، والتجأت ديانا إلى حارسها الخاص الرقيب باري ماناكي. فكانت النتيجة نقل ماناكي إلى منصب آخر ثم موته في حادث دراجة نارية.

رفدت العلاقة الغرامية بين الأمير أندرو وفيرغي زواج شارلز وديانا، فأصبحت الكنتان صديقتين حميمتين، وعلمت ديانا فيغي أصول الممارسات الملكية بعد أن ازدادت ثقتها بنفسها.

بحلول ١٩٨٧، ظهر جلياً للصحافة أن الزواج الملكي يواجه بعض المتاعب، وأخذت الصحف تلاحق ديانا وتصورها وتنسج القصص حول الصور والأشخاص الذين يظهرون فيها، وفي هذا العام بالذات، التقت ديانا وكاميلا في إحدى الحفلات، فقامت الأميرة بمحاصرة العشيقة واتهمتها بمضاجعة زوجها. لايورد مورتون إن كانت كاميلا اعترفت أو أنكرت ذلك ، بل يؤكد أن ديانا ملّت غيرتها وغضبها، ففجرتهما.

في العام ١٩٨٨، دخل لاعب البولو الكابتن جايمس هيويت حياة ديانا عندما بدأ يعلم الأميرين هاري و ويليم مبادىء الفروسية. فزارت بيته في ديفون لتثير شكوك العائلة المالكة. إعترف أحد الرقباء لصحيفة نيوز أوذي ولد أنه كان عضواً في فرقة مراقبة كانت مهمتها التجسس على ديانا وهيويت وتصويرهما يمارسان الحب في الحديقة. لاحقاً نشرت آن باستيرناك، صديقة هيويت، كتاباً ـ بمساعدته ـ اعترفت فيه أنهما كانا عاشقين.

عندما نُشر كتاب «ديانا: قصتها الحقيقية»، قام مورتون بدمج كل الاعترافات الفضائحية وساقها في صالح الأميرة التي استمرت في العمل من أجل الإحسان وفي حبها للأطفال. فأقبل الناس على هذا الكتاب وأمسى مورتون رجلاً ثرياً.

وفي صيف ١٩٩٢، عادت أخبار فيرغي وفضائحها إلى واجهة الصحف عندما ظهرت صورة لها مع مستشارها المالي جونت برايان، عارية الصدر يقبل أصابع قدميها. لكن فيرغي كانت خرجت من العائلة المالكة فلم تُثر هذه الصور أي ردود فعل رسمية.

وفي ٢٤ آب/أغسطس ١٩٩٢، نشرت الصحف وقائع شريط

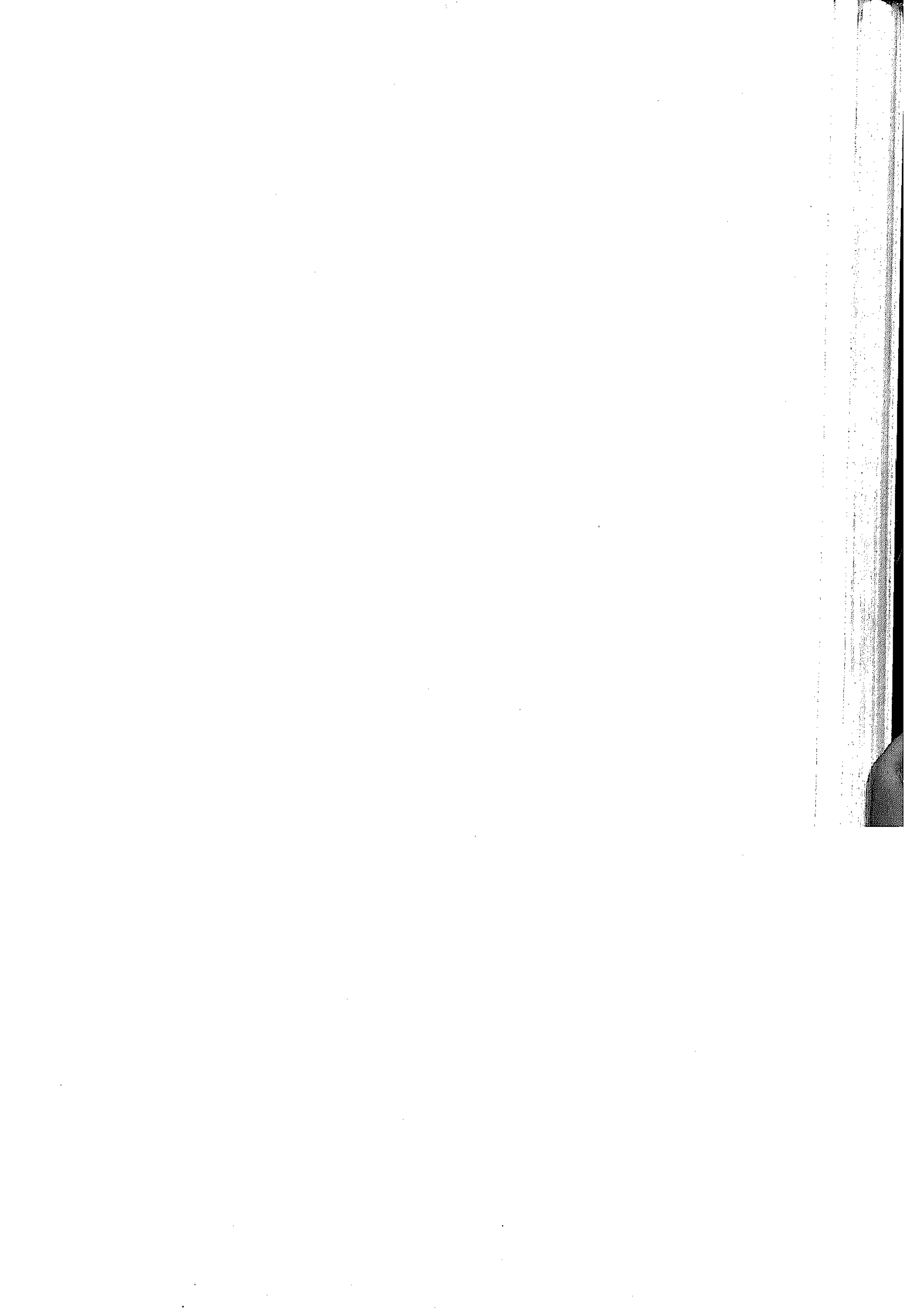
تسجيلي لصوت ديانا وهي تحادث جايمس غيلبي حديثاً حميماً وكأنهما عاشقان وأكثر. سجّل هذا الشريط أحد هواة التنصت عندما تمكن من السيطرة على موجات هاتف الأميرة الخليوي قبل سنتين، أي في العام ١٩٨٢، عندما كانت ما تزال تساكن شارلز... واستمرت الصحف طويلاً في جدال محوره إن كانت الأميرة قد ضاجعت غيلبي أو لم تفعل.

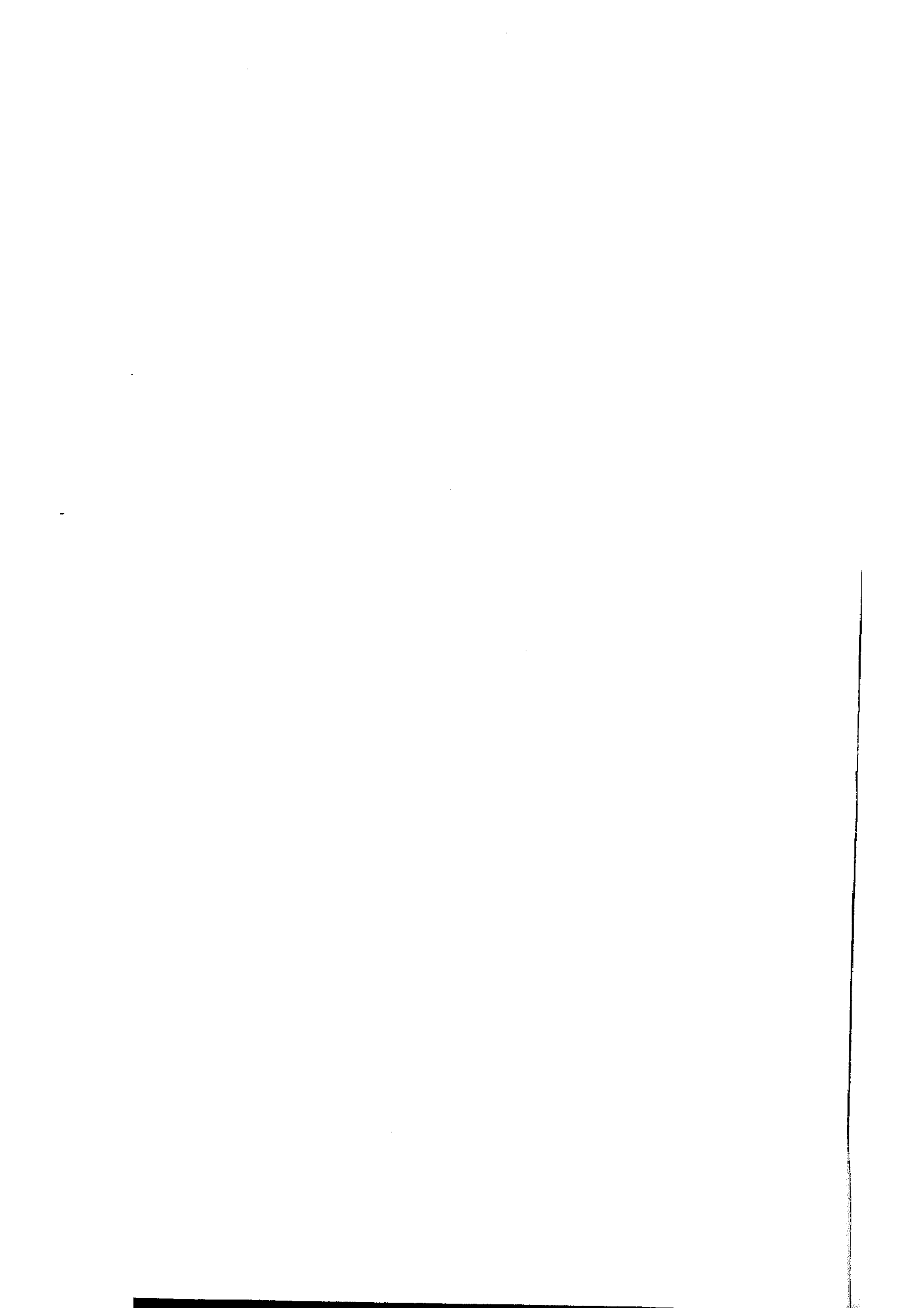
لكن الشريط لم يؤلّب الشعب البريطاني ضد ديانا. وفي التاسع من كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٢، أعلن القصر الملكي نية الأمير والأميرة ديانا الإنفصال.

وبعد خمسة أسابيع، نشرت الصحف الصادرة صباح الأحد ١٧ كانون الثاني/ يناير ١٩٩٣، تفاصيل شريط مسجل لاتصال هاتفي بين شارلز و كاميلي فيه كلام إباحي لم يصل إليه شريط ديانا وغيلبي. وعندما علم شارلز بأمر النشر، قبل أربعة أيام من هذا النشر، اكفهر وجهه إذ قد ساءت سمعته خلال ست دقائق من الحديث مع المرأة التي يحب..









6

أخبار غريبة وأسرار عجيبة